كلمة العدد

حول الدوريات المتخصصة والبحث الأكاديمي

بقلم : سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

منذ حوالي خمسة عشر عاماً أو أكثر قليلاً شهدت الساحة الخليجية نشاطاً ملحوظاً في إصدار المجلات التاريخية المتخصصة ومن بينها هذه المجلة .. وكان الهدف الذي أعلن عنه واضحا وهاما وهو البحث في كتابة تاريخ المنطقة بحيدة وموضوعية ، ومناقشة ما سبق أن كتب عبر الحقب السابقة بأقلام أجنبية من خارج المنطقة ، وتوضيح ما اشتمل عليه من مغالطات مقصودة أو غير مقصودة ، وأصبح القارئ العربي يطالع *"الوثيقة"* و *"الدارة"* و *"دراسات الخليج والجزيرة العربية"* و *"مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية"* وهي المجلات التي صدرت لتحقيق هذا الحلم واستطاعت عبر جهد كبير بُذل، أن تقطع أشواطا بعيدة وملحوظة في هذا السبيل ، بل تخطت حدود العالم العربي وانطلقت تعبر البحار إلى أوروبا وأمريكا وآسيا لترد على كثير من الأسئلة

التي كانت تراود القارئ الأجنبي خاصة من الباحثين في تاريخ منطقة الخليج التي تصدرت الأحداث وبؤر الإهتمام في الفترة الأخيرة.

لقد كان الهدف الرئيسي هو خلق وعاء إعلامي قادر ومتميز يستقبل جهود المؤرخين والباحثين في مختلف مناحي الحياة الخليجية عبر العصور المختلفة ، لتكوين ذخيرة كبيرة أمام جيل جديد من الباحثين والمؤرخين الذين يتصدون لكتابة تاريخ المنطقة . . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف قامت هذه المجلات ومنها *"الوثيقة"* بحشد عدد ضخم من الأبحاث ألقت الأضواء على كثير من المساحات التي كانت مجهولة أو غامضة . . ولكن لوحظ أن عملية البحث التاريخي وخاصة في السنوات الأخيرة ، لا تواكب هذا النشاط الإعلامي المتميز . . وعلى الرغم من تزايد عدد الدارسين في الدراسات العليا من أبناء المنطقة ، وعلى الرغم من أن مؤرخي اليوم من الشباب أسعد حظا من أسلافهم لتوافر المادة الخام وتوافر وسائل النشر ، إلا أن الحصيلة النهائية لا تصل لمستوى ما رسمه الأمل في هذا السبيل . . والقلة التي تصدت للكتابة نجدها تبعد كثيرا عن التاريخ السياسي للمنطقة الذي هو العمود الفقري لتاريخها ، وتتجه للتأريخ لبعض المظاهر الأخرى اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو فنية وحتى هذا القليل الذي كتب يُكتفي بعد منحة الماجستير أو الدكتوراه بإيداعه الأدراج دون أن يرى النور وكأنما قد كتب خصيصا للحصول على الدرجة العلمية ، لا لكي يأخذ طريقه لإضافه لبنة جديدة في البناء الكبير .

نحن نعلم أن كتابة التاريخ ليست ترفاً ذهنياً ، وإنما هي معاناة وتعب وتنقيب في سراديب القرون الغابرات . . ولكن كتابة التاريخ أيضا ليست غاية آنية أو عابرة ، وإنما هي حق وواجب للأجيال القادمة والمتتابعة . . وقد أدرك الإنسان القديم هذه الحقيقة رغم بدائيته ، فترك لنا على جدران

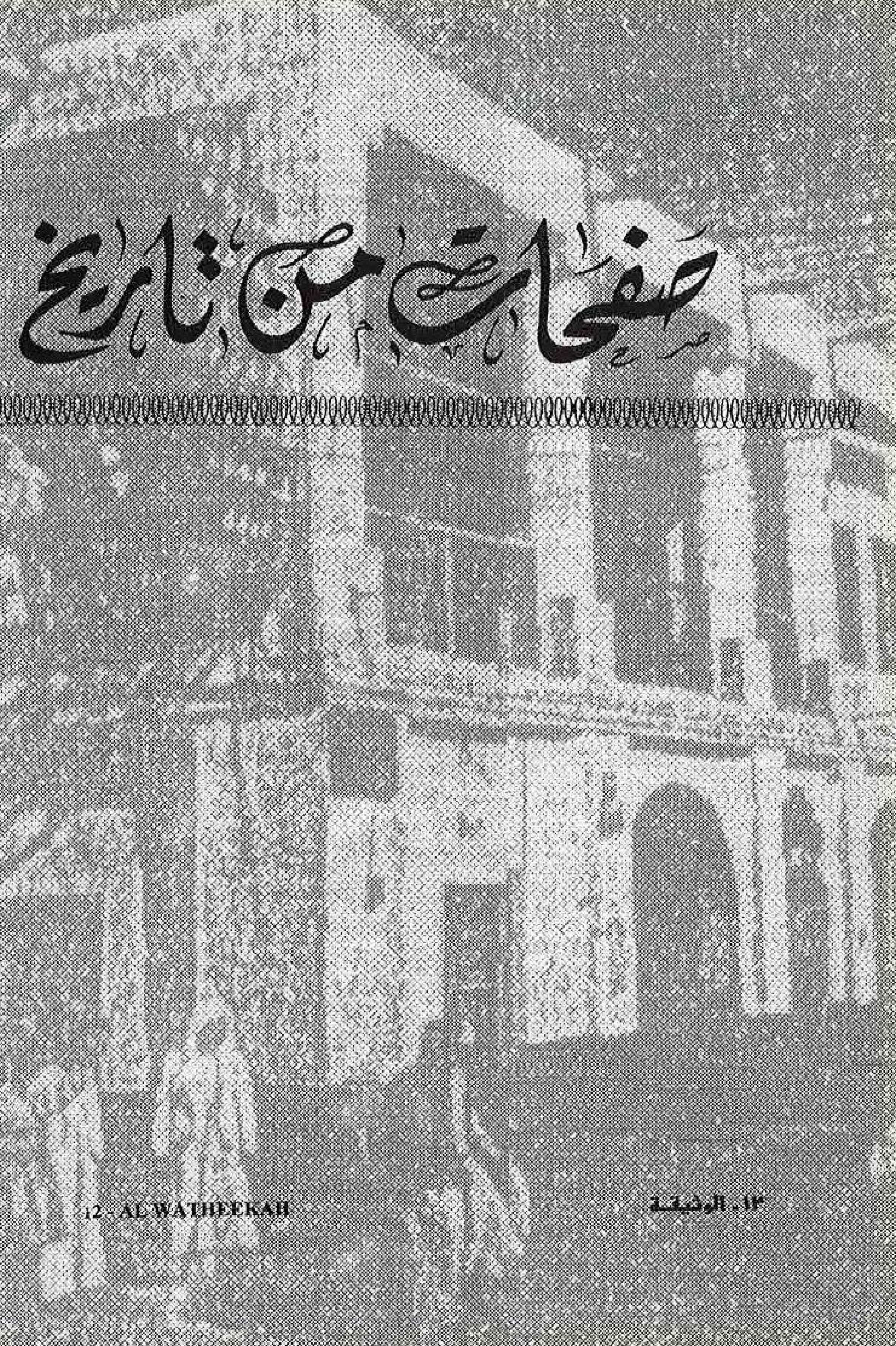
الصخر وحوائط المعابد وأوجه المسلات سجلاً لما عاشه من أحداث ، ورغم الصعوبة الشديدة في تسجيل الأحداث على الحجر ، إلا أنه لم يبخل بجهده ولم يقصر في سعيه لأداء هذه المهمة التي لولاها لكنا الآن على جهل كامل بكثير من الأحداث الماضية . ونحن اليوم لدينا الوسائل الحديثة والمتطورة التي تقوم على أحدث معطيات العصر التكنولوجية . . وليس للباحثين اليوم عذر في أي تقصير أو إهمال ، وسوف يكون من المعيب حقا أن تطالع أجيال القرن الواحد والعشرين صفحات من تاريخ الألف الأول أو الثاني أو الثالث قبل الميلاد ، ثم لا تجد ما يروي ظمأها للمعرفة عن أحداث القرن الخامس عشر أو الثامن عشر بعد الميلاد . . الباحثون الشباب اليوم مطالبون ببذل جهد أكبر في البحث التاريخي . . وجامعات المنطقة نفسها مطالبة ببذل جهد أكبر في حركة التأريخ ، سواء عن طريق طرح موضوعات بعينها على الدارسين في الدراسات العليا ، أو عن طريق تشكيل حلقات بحث ، أو لجان مصغرة لدفع هذه الحركة خطوات أكثر نشاطا وأكثر حماسا للأمام .

وهذا يجرنا إلى موضوع هام يدخل في صميم هذا الحديث ، وهو العلاقة بين الجامعة والدوريات المتخصصة ، هذه العلاقة التي مهما قيل عنها فإنها علاقة عضوية مترابطة أشد الترابط . . فكلتاهما تأخذ من الأخرى وتعطي مادامتا تخدمان هدفا واحدا ، وتتجهان لغاية واحدة هي خدمة البحث وتوفير كل الإمكانات له . . فأساتذة الجامعة هم العنصر البشري الهام والحاسم في هذا الصدد . . ومراكز الأبحاث والوثائق التي تصدر عنها هذه الدوريات . . لديها قاعدة عريضة من المعلومات قلما تتوافر في الجامعة . . ومن خلال الأخذ والعطاء تكتمل كل أبعاد الصورة وتتوحد الجهود لتصب في وعاء واحد وتخدم الغاية المنشودة . . إن الحكم على عصر ما وما حققه من إنجاز قد لا يأتي سريعا ولكنه آتٍ دون ريب حتى ولو بعد حقب طويلة عندما تستعرض الأجيال القادمة مختلف العصور وتضعها تحت النظرة

الفاحصة وتخضعها للحكم وتحدد قيمة ما تركه كل عصر وما خلفه الذين عاشوه وصنعوا الأحداث عبر سنينه . . وإذا كانت دولتنا الشابة قد حققت إنجازات عملاقة في مختلف المجالات ، وضربت رقما قياسيا في الانطلاق على دروب التقدم والتحديث والتطوير والبناء ، وأرست أسسا عظيمة على طريق التقدم والرخاء ، ووفرت في هذه الحقبة المباركة من حكم آل خليفة ما لم يتوافر لهذه الأرض عبر القرون . . إذا كان كل ذلك قد تحقق ، فإن التسجيل يجب أن يواكب هذه النهضة المباركة . . يرسم أبعادها ، ويلقي الضوء على الجهد الذي بذل فيها ، ويحمل للأجيال القادمة رسالة من أبناء هذا الجيل تستنهض هممهم لمواصلة البناء وتستنفر حماسهم لمواصلة العطاء وتحكي للتاريخ أن جيلا معطاءً قدم العرق وواصل الليل بالنهار ليدفع مسيرة البناء وليرفع قواعد المجد عالية في سماء البحرين العريقة ، واصلاً الحاضر المجيد بالماضي التليد ، ومحافظاً على روح الأسرة الواحدة التي تبني بالحب وتشيد بالإخلاص ، وتحمي بالتعاون والاخوّة ، مناخ الأمن والاستقرار الذي يسود كل من يحيا على ثرى هذه الأرض الآمنة التي كانت طوال تاريخها قبلة الباحثين عن الأمان وملاذ الحالمين بأرض الحب . . والتي حققت بفضل الترابط والتآزر والتآخي ما فشل غيرها في تحقيقه بسبب التنافر والتباغض والاختلاف .

عبد الله بن خالد آل خليفة

صفحات من تاريخ



المساحة والطابو

بقلم : المهندس مناف حمزة ـ البحرين

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وجعل مستقره على هذه الأرض ليعمرها ، وبسر له سبل العمران ، كما يسر له وسائل الحياة لتكون الأرض ، وهي مادة خلقه ، طعاماً له ومن مائها شراباً ، ومن هوائها يتنفس ، ويسكن على سطحها ويمشي ويسعى عليها ، وجعل رزقه ومعاشه فيها ، وسخر له جميع المخلوقات لأجل عمران هذه الأرض ، وليكون الخليفة فيها .

وكان من كمال الخالق عز وجل أن أودع في الإنسان من الغرائز ما يجعله يتلاءم مع هذا الغرض وهو عمران الأرض ، ومنها غريزة حب التملك ، والتي متى صبت ضمن الأصول والأطر الصحيحة والسليمة حققت هدف الإنسان من الحياة ، كما تنظم علاقته بربه ، وتنظم العلاقة بين الفرد والجماعة أو الجماعات وبعضها البعض من غير عدوان من أحد على أحد من البشر أو الكائنات الأخرى .

وقد نظمت الشريعة الإسلامية حق التملك ، فالتملك حق شرعي مقرر للفرد يحميه السلطان ، ودفاع المالك وصيانة ملكه حق شرعي إذ أن الأصل في الشريعة أن كل من كان أهلا للتملك فله أن يستعمل حقه في تملك ما

يعتبر مالاً مشروعاً ، على أن يكون التملك بسبب مشروع كالشراء أو الهبة أو الإرث أو ما إلى ذلك .

إلا أن الشريعة قد قيدت هذا الحق ، إذ الملك لله، وإنما الإنسان مستخلف من الله فيه ، ففرضت الزكاة وحرم الاحتكار وحرم أكل أموال الناس بالباطل ، ولا استئثار لفرد بشيء أو تسلط على ملك لا ينازع أو يدافع ، كما على الإنسان أن يراعي المباح والمحظور فيما يملك ، كما عليه أن يصون حق ومصلحة الجماعة .

* التسجيل العقاري و المسح قديما

تؤكد الدراسات العديدة أن استغلال السلطات و الحكومات للأرض من أجل جمع الضرائب قديم جداً و ضارب الجذور في التاريخ الإنساني ، فقد عرفت الحضارات السابقة الملكية العقارية ، من خلال كتاباتها و نقوشها فالحضارة السومرية التي قامت في وادي الرافدين في الألف الرابع قبل الميلاد عرفت الكتابة و العقود التجارية[١] ، وأن أقدم الخارطات المعروفة من العهود القديمة وصلت إلينا من بلاد الرافدين ، ففي حفائر منطقة بابل عثر على عدد من الألواح الطينية رسمت عليها خارطات طوبغرافية وخارطات كادستر وخارطات مدن[٢] ، وأقدم خارطة للعالم موجودة حالياً في المتحف البريطاني من حضارات بلاد الرافدين ومصنوعة من ألواح طينية .

كما عرفت الحضارة المصرية القديمة نظام السجل العقاري العيني و أن الملكية العقارية في مصر لا تنتقل إلا بعد إشهار التصرف الناقل للملكية في السجل الخاص المعد لذلك منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، و ذلك بعد أربعمائة سنة من استخدامهم وحدات معينة لقياس الطول .

وأول أثر لتسجيل الملكية موجود على جدران قبر أحد أفراد الأسرة الفرعونية الثالثة في سقارة ، وقد كانت هناك وسائل متطورة لقياس الأراضي وحساب مساحة الحيازات والتي كانت ملكاً لطبقة النبلاء ، وفيما بعد عام ٩٠٠ ق.م أصبح اسم المالك ومساحة الحيازة وموقع الأرض والضريبة المستحقة عليها تسجل بانتظام ، وفي عهد الإمبراطورية

الفرعونية الجديدة وجد سجلان للملكية محفوظان في الخزانة[٣] .

كما أن الليبيين القدماء عرفوا الملكية العقارية قبل قدوم الفينيقيين والإغريق إلى ليبيا ولقد قاموا ببيع قطعة أرض لمؤسسة مدينة قرطاج لتقيم عليها مدينتها[٤] .

وفي تونس وخلال الحقبة القرطاجية كان هناك نوع من مسح الأراضي يعتمد على توصيف العقارات وبعد تغلب الجيوش الرومانية فرضوا على المقاطعات الأفريقية نظاماً عقارياً يتفق مع مبادئ القانون الروماني ، كما تم وضع نظام لمسح وتقويم الأراضي لاستخدامه في تحديد الضريبة العقارية ، بموجب قانون صدر في عام ١١١ ق.م. ، وقد توصلت الحفريات الحديثة إلى اكتشاف مجموعة من المناطق ومن الآثار المحددة بعلامات مساحية من الطوب[٥] .

و أما أقدم وثيقة ملكية موجودة فترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهي لوح من البرونز يهب فيه الملك ستاسيكيبروس طبيبه الخاص أحد الحقول في قبرص ، ولا تزال هذه الوثيقة في متحف مدينة نيقوسيا في قبرص ، ومرفق مع هذا البحث نسخة لهذه الوثيقة التاريخية .

و في عهد الإمبراطورية الرومانية أمر الإمبراطور ديوكلتين بإجراء مسح أراضي الإمبراطورية في القرن الثالث الميلادي ، وذلك لدراسة فرض نظام جديد للضرائب[٦] .

وأما في الصين فقد فرض نظام ضرائبي على الأرض اعتماداً على مسح في نهاية القرن السابع الميلادي ، كما يؤكد الباحثون أن الصينيين استخدموا أجهزة معقدة لمسح الأراضي في القرن الثامن الميلادي ، إلا أنهم في سنة ١٠٦٩م استحدثوا نظاماً جديداً للضرائب بناءً على عمليات المسح الجديدة[٧] .

وعلى الرغم من إطلاعي على العديد من المصادر الأجنبية حول هذا الموضوع إلا أنني وجدت أنها تغفل لسبب أو لآخر ، الحديث عن دور المسلمين وخاصة في حقبة ازدهار حضارتهم ، وانتشارها من الصين إلى جنوب أوروبا والأندلس ، وتتناسى ما وصلوا إليه ، وقد يكون ذلك مسوغاً لهم ، فبروح عنصرية بغيضة وبدافع ترسبات صليبية بحتة يغفل هذا الدور ، فلا حقوق طبع

ولا حقوق تأليف للتاريخ ، كما أن تأثر الكثيرين واستلهامهم العلم مباشرة من الغرب دون الرجوع إلى الأصول الموجودة لدينا آفة يعاني منها الكثير من أبناء المسلمين .

لذلك ارتأيت أن أعرج قليلاً ، وأتطرق و أفتح باباً قد يسهل للآخرين الولوج فيه ، و أن تشمل مقدمة الموضوع بعضا من تراثنا المعني بهذا الشأن ، مع اعترافي بأني قد أكون مقصراً في ذلك ، فإن المادة الموجودة في هذا المجال عند الأقدمين غنية وخصبة ولا يمكنني الانتهال منها مفرداً ، وبخاصة أن المقام قد يضيق .

ولكن يبقى التراث الإسلامي من أخصب التجارب الحضارية في التعاملات المدنية ومن بينها الملكية العقارية ، وتعد الدراسات الفقهية والفتاوى في هذا الشأن مرجعاً رئيسياً للدارسين والباحثين وقد ارتأيت أن أورد في هذا الموضع عددامن الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الشأن ، فقد روي عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال : **لعن رسول الله من يسرق المنار ، قلت : وما سرقة المنار ؟ قال الرجل يأخذ من أرض صاحبه في أرضه** ، والمنار جمع منارة وهي الحد بين الأرضين ، أو ما نسميه اليوم العلائم المحددة للعقار(٨) .

كما أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ قال : **من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أراضين**(٩) . وقد أورد السيوطي في " **الحاوي للفتاوى** " عدة أحاديث مع شرحها في بحث مختصر تحت عنوان (**ذكر الأحاديث الواردة في إثم من ظلم شيئاً من الأرض وطريق المسلمين**) ، ومما أورده ما أخرجه البيهقي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : **ملعون من غير حدود الأرض ، ملعون من تولى غير مواليه**(١٠) .

وقد روى الشيخان (**البخاري ومسلم**) أن الأشعث ، قال : كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني ، فقدمته إلى النبي ﷺ ، فقال : **ألك بينة** ؟ قلت : لا ، فقال لليهودي : **احلف** ، فقلت : يا رسول الله إذن يحلف فيذهب مالي ، فأنزل الله (**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**)(١١) . فالرسول ﷺ كان يقضي

فيما يختلف فيه من ملكية العقارات ، وأن آية كريمة من آيات القرآن قد نزلت بسبب خلاف على عقار بين أحد المسلمين ويهودي .

كما عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم وقضاته كانوا يوثقون بعض قضاياهم من عتق وطلاق وبيوع بوثائق يكتبونها ويعطونها لصاحب العلاقة[١٢] .

فإن أول ما شدني أن أطلع على بعض تراثنا في المجال المساحي والعقاري ما ورد من أن عمر بن الخطاب ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم ، وأمره أن يكتب لهم صكاكاً من قراطيس ، ثم يختم أسفلها ، فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك [١٣] ، أو ليس ذلك ما نعرفه اليوم بوثائق الملكية والتي تصك وتختم من أعلى سلطة في الدولة .

وكان خارجة بن زيد وطلحة بن عبد الله في زمانهما يستفتيان وينتهي إلى قولهما ، ويقسمان المواريث من الدور والنخيل والأموال ويكتبان الوثائق للناس[١٤] .

وأن قاضي البصرة الحسن بن عبد الله العنبري ولي القضاء سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) كان يرفض أن يسلم الصكوك وهي الحجج والوثائق لقاضي بغداد رغم أن فيها معاملات لأهل بغداد قاموا بإجرائها بالبصرة وذلك بناءً على أمر الخليفة المعتصم ، ويعتبر إخراج هذه الوثائق إبطالاً للحقوق الواردة فيها خوفاً من التلاعب بها[١٥] .

ومما ورد في وجود الأجنحة المطلة على ملك الجار وعلى الدروب المشتركة بأنها دالة على أنها وضعت باستحقاق وكذلك القنوات المدفونة تحت الأملاك والجداول والأنهار الجارية في أملاك الناس دالة على استحقاقها لأرباب المياه لأن صورها دالة على أنها وضعت باستحقاق[١٦] ، ومن الطريف أن هذه المواضيع مازالت تتكرر ، دون أن يكون هناك رجوع أو استفادة لما هو موجود في مثل هذه الأبحاث القيمة .

وقد تتم عملية التوثيق بواسطة الموثق والشهود وبحضور أطراف العقد ولكن بعض المعاملات تحتاج إلى عناصر أخرى تساعد على عملية التوثيق ، ولاتتم إلا بها ، فإذا كانت المعاملة قسمة عقار بين شركاء أو ورثة أو إذا كان البيع أو الوقف أو الهبة واقعاً على جزء من عقار فإن هذه العملية لاتتم إلا بواسطة

شخص يقوم بعملية القسمة أو تحديد الجزء المراد بيعه أو هبته ، تمهيداً لإجراء العملية التوثيقية ، وصاحب هذه الوظيفة يسمى القاسم و قد يسمى الماسح أو القياس و الذراع و ذلك تبعا لنوعية العقار المراد قسمته أو تحديده[١٧] .

ووظيفة القاسم معروفة منذ القدم ، فقد روى ابن قتيبة عن ابن الكلبي أنه قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله أبنا العباس أن يقسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدعي القاسم ليقسم فلما مد الحبل ، قال له عبيد الله: أقم المطمر[١٨] ، يعني الحبل الذي يمد ، فقال له عبيد الله: يا أخي ، الدار دارك لا يمد والله فيها مطمر ، فمن ذلك نفهم وجود هذه الوظيفة منذ بداية الدولة الإسلامية وأن وسيلة القياس كانت الحبل ، ثم بعد ذلك اتخذ الذراع كوحدة للقياس ، يقول القلقشندي : أول من اتخذ الذراع الذي يذرع بها الأرضون أمير المؤمنين عمر حين مسح السواد[١٩] .

وقد وردت العديد من الأخبار في بناء الكوفة والفسطاط وأنهم كانوا يختارون الأرض ومن ثم تتم الخِطَة (بكسر الخاء) وهي الأرض التي يعلم عليها الرجل علامة بخط يده على اختيار المعلم بناء الموضع المعلم واحتيازه ، وهو أيضاً ما يعرف في يومنا بوضع علائم العقار .

ويذكر أن الخليفة العباسي المنصور لما عزم على بناء بغداد أحب أن ينظر إليها عياناً . فأمر أن يخط بالرماد ، ثم أقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها ، وهي مخطوطة بالرماد ، ودار ينظر إليهم وإلى ما خط من خنادقها ، فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن ، وينصب عليه النفط فنظر إليها و النار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر أساس ذلك الرسم ، ثم ابتدئ في عملها[٢٠] .

وجدير بالذكر أن الفقهاء المسلمين قد وضحوا أسباب التملك في الإسلام بكل وضوح وتبيان على النقيض مما هو حاصل في الغرب إذ أن الملكية الفردية والخاصة مازالت مجهولة أو معقدة في العديد من الدول الغربية ومن بينها بريطانيا ، كما أسهب الفقهاء في العديد من المسائل التي مازلنا نبحث عن حل لها في المراجع الغربية دون فائدة

كـالجدران المشـتركة وحقـوق الإرتفـاق والري وحرم الطريق وما إلى ذلك.

وفي عصر ازدهار الخلافـة الإسـلامية أعدت الجداول الفلكيـة وبنيت العديـد مـن المـراصد لقيـاس حركـة الأرض والنجـوم ، وفي عهـد الخليفـة المـأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) أجريـت العديـد مـن القياسات والتجارب لمعرفة مسافة درجة واحدة من خطوط عرض الكرة الأرضيـة ، فوجد أنها تساوي ٥٧ ميلا عربيا ، كما عمل الخوارزمي خريطة عرفت باسم خريطة المأمون ، ويذكر الدكتور يوسـف صيام أسماء عـدد مـن العلمـاء المسلمين الذين نشطوا في مجال المسـاحة وأعمـال الخرائط من أمثال البلخي والاصطخري وابـن حوقـل والمقدسـي والادريسـي والمسعودي والبتاني والبيروني[٢١] .

وازدهرت العديد من العلوم الإسلامية وأعـدت العديـد مـن الخرائـط الـتي اسـتخدمت في الكشـوفات والرحـلات الاستكشافية ، ولازالت صكوك أو وثائق الملكيـة الـتي كتبـت مـن أدق الوثـائق صياغـة تشريعا ولغـة وتوثيقا وخطـا ، فإلقاء نظرة على النموذجين الموجودين في متحـف البحريـن واللذيـن يعـود تاريخهما إلى عامي ٩٩٥ و ٩٩٨هـ دليل وبرهان على ذلك[٢٢] .

ويذكـر أن أسـرة ابـن سـالم الأغلـب الـتي حكمـت تونـس باسـم العباسـيين أعدت سجلات مؤقتة للأراضي تستكمل بانتظام لتحصيل الخراج[٢٣] .

وقد كونت الدولة العثمانية لجنة من كبار رجـال المملكـة العثمانيـة المعروفين بالنزاهـة والمقدرة والاسـتقامة ، عملـت نصـف قـرن لتقسـيم وتبويـب أنـواع العقارات في الدولة العثمانية وقد أثبتـت اللجنـة نتيجـة أعمالهـا في ٩٧٠ دفـترا قيدت فيها هـذه الأمـلاك وقـد وشحت هذه القيود بالطغراء السلطانية وحفظـت في مخزن رصين ، وقـد تم هـذا الإجـراء في سنة ٩٥٥هـ ، وقد كان أول تسـجيل منظم للأملاك في الدولة العثمانية[٢٤] .

وفي أواخر جمادى الآخـرة ١٢٧٢هـ (مـارس ١٨٥٦م) ، أصـدر السـلطان العثماني عبد الحميد قانون الإصلاحـات الخيريـة ونـص القانون على أن تهيـأ قوانـين وأنظمـة لحفـظ الحقـوق والبيـوع والتصرف في العقارات يحافظ فيها علـى روح الشرائع السماوية ، ثم صدر قـانون الأراضي العثماني في ٧ رمضان ١٢٧٤هـ

(٢٠/٤/١٨٥٨م) وهو القانون الخاص بالأراضي الأميرية ، ثم صدر نظام الطابو في ٧ شوال ١٢٧٦هـ (٢٨/٤/١٨٦٠م)(٢٥) .

وفي مصر ، رأى محمد علي باشا ضرورة إعادة قياس جميع الأراضي الزراعية ، وحدد وحدة للمساحة هي الفدان ، ثم أمر بإجراء مسح موحد ، بدأ العمل فيه عام ١٨١٣م وانتهى بعد ذلك ببضع سنين ، وكان يشتمل على قياس الحيازات وتحديد مساحاتها وتسجيل هذه البيانات في سجلات للأراضي خاصة بكل قرية ، وفي عام ١٨٢٣م أتفق على وحدة قياس للأراضي وهي القصبة (٣,٦٤مترا)(٢٦) ، وفيما بين عامي ١٨٥٣-١٨٥٩م انتهى العمل في قياس الأراضي المزروعة في مصر وأصبح هذا المسح هو السجل الرئيسي للملكية في مصر منذ ذلك التاريخ(٢٧) .

وفي تونس بدأ تنفيذ أول نظام حديث للتسجيل العقاري بموجب القانون العقاري الصادر بأمر عال بيكي بتاريخ ١/٧/١٨٨٥م إلا أنهم لم يأخذوا بالقوانين العقارية العثمانية السارية آنذاك في أغلب البلدان العربية .

وأما الحضارة الغربية فتدعى أن أول سجل عقاري فيها يرجع إلى الملك وليم الأول ملك بريطانيا والذي دون الأراضي التي استولى عليها في كتاب دومسزدي، وذلك عام ١٠٨٦م ، ليكون أول سجل عقاري تسجل فيه وحدات الملكية بأسمائها ومحاصيلها وقاطنيها ولكن دون عمل مساحي أو مستند خرائطي ، ومهما يكن فإن ذلك العمل قد سبقه السجل الصيني للأملاك .

ولم يبدأ العمل المساحي إلا بعد اختراع المزواة (**الثيودوليت**) وسطح الرصد المستوي Plane Table في نهاية القرن السادس عشر الميلادي ، وهي الفترة التي شهدت مخاض المساحة على وجهها القائم حاليا ، ويرجع الفضل فيها إلى جون بلغريف وجون نوردن ، وقد كانا خريجين جامعيين وعلى إلمام وشغف بالرياضيات وانغماس بآلات المسح والرصد المبتكرة آنذاك(٢٨) .

وكانت المزواة تستخدم لقياس الزوايا وأما السطح المستوى فقد كان مفضلا لمسح الأملاك ، في حين كانت المسافات تقاس بالمقياس السلسلي والذي يبلغ طوله ٦٦قدما ، كما كانت تستخدم العجلات لقياس الطرق ، وفي عام

١٧٦٠م تم توحيد أطوال وحدات الياردة والميل .

وقد بدأت عملية المسح وإعداد الخرائط من قبل المساحة العسكرية البريطانية (ORDINANCE SURVEY) عام ١٧٤٧م ، وكانت الخرائط بمقياس رسم ١ : ٣٦٠٠٠ ،إلا أن هذا المقياس لم يستخدم بعد ذلك .

ولم يختلف الحال كثيرا في فرنسا عنه في بريطانيا ، إذ تم عام ١٧٨٩م ، إعداد خرائط لفرنسا بمقياس رسم ١ : ٨٦٤٠٠ ، بعد أن استغرقت العملية خمسة وأربعين عاما ، وبعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م خشيت بريطانيا من غزو فرنسي للجزر البريطانية ، فبدأت بإعداد خرائط لأقرب المواقع لفرنسا والتي هي الأكثر احتمالا وعرضة لأن تكون مسرحا للهجوم ، وذلك بمقياس رسم ١ : ٦٣٣٦٠ أو بوصة لكل ميل ، ولكن مع تلاشي الخوف من الغزو الفرنسي تقلص مشروع الخرائط حتى توقف العمل فيه عام ١٨٤٠م ، إذ أعدت خرائط لأيرلندة بمقياس رسم يعادل بوصة لكل ميل ، وفي العام التالي جدد البرلمان الإنجليزي النية لأعداد خرائط لجميع بريطانيا ، وبنفس مقياس الرسم لأيرلندة ، حيث أثبت هذا المقياس جدواه وملاءمته لأغراض أخرى وخاصة في مجال الأملاك العقارية ، وفي عام ١٨٥٣م تم تبني مقياس الرسم ١ : ٢٥٠٠ ليكون معينا وسندا في تحديد المزارع والوحدات العقارية ، ويسجل عام ١٨٨٩م حدثا هاما إذ استحدث مكتب فرعي تابع للتسجيل العقاري في بريطانيا مهمته في إعداد الخرائط لاستخدامها في التسجيل[٢٩] .

ومنذ عام ١٨٩٧م اعتمدت خرائط (ORDINANCE SURVEY) لأغراض التسجيل العقاري ، إذ لم تعد تابعة للمساحة العسكرية[٣٠] .

الطابو والمساحة في البحرين

يبدأ تاريخ التسجيل العقاري والمساحة في البحرين في فترة تعتبر معلما في التاريخ الحديث لهذا البلد ، وهي الحقبة التي تبدأ في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين ، وشهدت قيام عدد من الكيانات الحديثة في البلاد العربية ، وهي أيضا الفترة التي شهدت اللبنة الأولى للإدارة الحديثة في البحرين ، فقد شهد عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩ - ١٩٢٠م) إنشاء المجلس البلدي ، وفي العام التالي

افتتحت مدرسة الهداية الخليفية في المحرق ، وفي عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١ - ١٩٢٢م) تأسست دائرة الشرطة ، كما صاحب هذه الإنجازات دخول التقنيات والآلات الحديثة ، ففي عام ١٣٣٤هـ (١٩١٥ - ١٩١٦م) أدخلت أول مطبعة حجرية وفي عام ١٣٣٧هـ (١٩١٨ - ١٩١٩م) وضعت أول آلة تلغراف ، كما وضعت أول آلة مولدة للقوة الكهربائية في المنامة في عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠ - ١٩٢١م)(٣١) .

لذلك ليس من المستغرب في مثل هذه النهضة الإدارية أن تستحدث دائرة الأراضي أو ما يعرف اليوم بالتسجيل العقاري أو ما يعرف بالطابو ،وأما كلمة الطابو فهي تركية وتعني وثيقة الملكية وإن كان البعض يرجح أنها مأخوذة من بادئة كلمة طوبوغرافيا Topography - والتي تعني السمات السطحية لسطح الأرض وأما Topo فتعني موقع أو مكان - كما أن التوفيق بينهما ليس من الصعوبة بمكان ، إلا أن قانون الأراضي العثمانية الصادر عام ١٨٥٨م شرع للعامل في الأراضي الأميرية أن يسجل أرضه ويحصل على وثيقة رسمية من الدولة اسمها طابو (وهي بمثابة صك) مقابل دفع رسوم مقدما لإثبات حقه في التصرف في الأرض(٣٢) .

لقد كان استحداث دائرة الطابو في البحرين عام ١٩٢٤م ، في عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة(٣٣) ، بعد ثلاثة أعوام من تحديث الطابو والمساحة في العراق(٣٤) والذي كان تحت الإدارة البريطانية أيضا ، إلا أنه يسبق قانون نظام مسح الأراضي وتسجيلها في سوريا ولبنان والصادر عام ١٩٢٦م ، أو الصادر في الأردن عام ١٩٢٧م ، وقد كان إنشاء الطابو استجابة لحل العديد من المشاكل التي بزغت لأسباب متعددة وأخذت صورا مختلفة ، ومن المشاكل التي ظهرت في تلك الحقبة :

- بيع عقار من قبل مالكه لأكثر من مرة .
- بيع البعض عقارات لا يملكونها وليس لهم حق التصرف فيها .
- ادعاء بعض الناس بأراض ليست لهم .
- ورود عدد من قضايا المحاكم والمتعلقة بتقسيم تركات متصلة بالعقارات.
- ورود عدد من القضايا والخلافات المتعلقة بحقوق الري والسواقي والحدود الفاصلة بين العقارات .

• وجود عدد من الهبات والتي تفتقر إلى تعريف دقيق بحدود العقار أو مواقعها أو استخداماتها آنذاك [٣٥] .

وقد قامت الدولة باتخاذ خطوات لحل بعض هذه المشاكل وخصصت ميزانية للمعاوضات لحل البعض من هذه المشاكل ، إلا أن إنشاء الطابو عام ١٩٢٤م والقوانين التالية التي كانت تصدر على شكل إعلانات ساهمت في القضاء على العديد من المشاكل أو ساهمت في حلها أو إدراجها وتنظيمها ضمن القنوات القانونية ، وبعد ذلك بعامين أنشئ أول قسم للمساحة وألحق بالطابو ، واستعين بعدد من المساحين الهنود ، وعين السيد محمد خليل ميمن وهو أول مساح انضم للدائرة كأول مدير لدائرة الطابو ، وقد عرف بدقته وانضباطه وحرصه الشديد وإجادته اللغة العربية وقد كان لمزاياه هذه أكبر التأثير بالأخذ والاستمرار في نظام الطابو في البحرين ، وقد بقي في هذا المركز حتى عام ٥٣-١٩٥٤م ، حيث تم تعيين عبد العزيز حمد الصالح مديرا للطابو ، وفي أوائل الستينات عين الشيخ سلمان بن علي آل خليفة مديرا للطابو .

وبدأ تنفيذ أول مسح عمومي وشامل للبحرين خلال الفترة بين عامي ١٩٢٦-١٩٣٣م ، وقد غطى هذا المسح أغلب الأماكن المأهولة والزراعية آنذاك ، علما بان الدائرة بدأت بتسجيل العقارات منذ عام ١٩٢٤م .

وفي ٢٦ أغسطس ١٩٣٣م طلبت قيادة القوات الجوية البريطانية في العراق موافقة حاكم البحرين لإجراء مسح جوي لمدينتي المنامة والمحرق وإعداد فسيفساء من الصور الجوية لهما[٣٦] ، علما بأن المسح البحري بدأ في مياه البحرين قبل ذلك بأكثر من مائة عام[٣٧] ، إذ يذكر لوريمر أنه في سنة ١٨١٧م أعد الملازم تانر من بحرية بومباي مذكرة مرفقاً بها مسح لشواطئ اللؤلؤ في جزر البحرين مع مذكرات تفصيلية عنها[٣٨] ، وأن عملية المسح البحري كانت تقوم على قدم وساق خلال عام ١٩٢٣م لمياه شرق البحرين وكانت تلقى هذه العمليات كل عون من شيوخ البحرين الكبار والصغار منهم[٣٩] .

إذا كانت هذه الإرهاصات بداية حقبة من المسح وتثبيت حقوق الملكية والعقارات أو بكلمات أدق بداية نظام حديث للمسح التفصيلي أو العقاري

(الكادستر)[٤٠] في البحرين ، والتي يشير إليها البروفيسير بتر ديل[٤١] في كتابه (إدارة معلومات الأراضي) بقوله: " أن **البحرين تمتلك نظاماً حديثاً للمعلومات المساحية المتعلقة بالأراضي، ويعتمد هذا النظام على الحاسب الآلي** ." وذلك كاستشهاد على ما يمكن أن تتوصل إليه بعض الدول في هذا المجال ، لقد أوجز بهذه الكلمات ما توصلت إليه المساحة والتسجيل العقاري في جملة واحدة .

ولنا أن نتساءل الآن ، كيف كان المسح وتثبيت الملكية قبل هذا التاريخ ، حتى نعود لنلقي المزيد من الضوء على البدايات الأولى .

تثبيت الملكية قبل الطابو

كانت العقارات تثبت في المحاكم الشرعية ويختم القاضي على سند الملكية ، كما كانت بعض الأملاك تسجل في مجلس حاكم البحرين آنذاك ، والذي يختم الصك أو السند بختمه الخاص ، وكانت عمليات البيع والشراء تتم بحضور شاهدين ، أما التثبيت والادعاء فيكون بحضور أربعة شهود ، ومن الممكن الرجوع إلى عدد من سندات أو صكوك الملكية الموجودة في متحف البحرين الوطني ، والتي يرجع أقدمها إلى سنة ٩٩٥هـ (١٥٨٧م)[٤٢] ، ومن الملاحظ أن بعض السندات القديمة لم تكن منقوطة ، إلا أنها تشترك في السندات اللاحقة لها في جمال الخط العربي وبديع الصياغة وتمسكها بالقواعد الشرعية وتبيان كافة حقوق البائع والمشتري ، وكذلك الحرص على اعتماد قاضي الشرع للسند وربما اعتماد أكثر من قاض ، وكذلك وجود الشهود وختم كل المذكورين على السند ، كما يذكر التاريخ الهجري للمعاملة واليوم ، ويزدان السند دائما بالبسملة والثناء على الله ويختم بالصلاة والسلام على رسول الله وآله ، ومع المقال هذا صورة من وقفية أحد العقارات في عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة[٤٣] .

وقد كانت الحدود تذكر ومعالم العقار واسمه المشهور به ، فان كان العقار بالغ الشهرة فقد يكتفي باسمه ، إذ كانت العقارات وبخاصة البساتين تعطي أسماء خاصة بها ، ومازالت بعض البساتين تعرف بهذه الأسماء إلى اليوم

كنخل القفول وأم صليم والبدعة والحكمي وتينار .

كما كان يذكر الثمن بالعملات المتداولة كالروبية والقران والتومان والجنيهات والليرة والمحمدية ، ومما يذكره لوريمر أن عملة البحرين مختلطة والعملة الهندية من جميع الأنواع هي أكثرها شيوعا وتتداول بحرية ولكن دولارات ماريا تريزا أو الريالات تتداول في موسم اللؤلؤ ، وكانت الوحدة العادية ذات القيمة الصغيرة على أية حال عملة خيالية تسمى القران البحريني الذي تبلغ قيمته أربع أعشار الروبية[٤٤] ، وأما الليرة الذهبية العثمانية فهي منذ عهد السلاطين عبد المجيد وعبد الحميد ومحمد رشاد ، ووزنها مثقال ونصف أي ما يعادل ٧,٢٥ غرام تقريبا [٤٥] .

وقلما تذكر أبعاد العقار ، فإن ذكرت فإنها مقاسة بالذراع ويقصد بها أذرع الرجل الكامل وتقاس باستخدام الحبال ثم تذرع بذراع الرجل الكامل ، وقد ورد سابقا أن عمر بن الخطاب هو أول من استخدم الذراع في قياس الأراضي ، ولا يوجد أي أثر لمعيار الذراع الذي كان يستخدم في البحرين ومن ثم مقارنته بالمتر أو القدم ، وإن كان من المتعارف عليه أنه أقل من نصف متر بقليل ، إلا أنه من المعروف أن طول الذراع قد أنقص وذلك ليواكب الشح في مصدر الأراضي الموهوبة حينذاك وليتفق مع وحدات الأقدام التي بديء في استخدامها.

ومن قياس مبان قديمة في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي تم التوصل إلى اختلاف في طول الذراع ، إذ أنه يتراوح بين ٤٨٧,٧ ملليمتر و٤٩٥,٣ ملليمتر وحتى عهد قريب كان يعتمد في بغداد طول الذراع على أنه ٤٩٣,٣ ملليمتر[٤٦] ، كما يذكر لوريمر أن الوحدات الشائعة الاستخدام في البحرين هي القبضة والذراع والباع والفرسخ ، وأن الذراع يعادل ١٨,٧٥ بوصة إنجليزية (ما يعادل ٤٧٦ سنتيمترا)[٤٧] ، وقد أورد النبهاني في تحفته ما نظمه ابن الحاجب (المتوفى سنة ٦٤٦هـ) في الوحدات[٤٨] :

إن البريد من الفراسخ أربع
ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف من الباعات قل
والباع أربع أذرع فتتبعوا
ثم الذراع من الأصابع أربع
من بعدها العشرون ثم الأصبع

ست شعيرات فظهـــر شعيرة
منها إلى بطن لأخـرى تـوضع
ثم الشعيرة ست شعرات فقط
من ذيل بغل ليس عن ذا يرجع

ومـن الملاحـظ أن لوريمـر أضــاف القبضة وهي تعادل أربعة أصابع كما أن ست قبضات تعادل الـذراع ، كمــا أن ١/٨ ٣ بريد تساوي درجة ، والثلاثمائـة وستين درجة تكون دائرة الأرض .

وكانت تعرف ورقـة البيـع أو السـند بالحجة الشرعية ، كما كـانت تختصر وتعرف بأنها ورقـة الأرض أو البيـت أو النخل ، وعلى الرغم من أن هذه البيـوع كـانت أمـام القضـاة الشـرعيين أو في مجلس الحاكم إلا أنها لم تكـن تسـجل في سجل خـاص وإنمـا يحتفظ المشتري بالنسخة الوحيدة والتي تحتوي الأختـام المذكورة آنفا .

وقد كانت ترد في عقود البيع العديـد من المصطلحـات الـتي تتعلـق بـالأراضي وخاصـة الأراضـي الزراعيـة ، ومـازال بعضهـا متـداولا إلى يومنـا هـذا ، وفيمـا يلـي بعـض هـذه المصطلحـات ، والـتي تعرفت على معانيها من خلال العمـل ، ورأيـت تثبيتهـا وذكـر معانيهـا للفـائدة وخشية اندثارها :

المغـرس : وحـدة قيـاس متعـارف عليها وهي المسافة التي تستخدم للفصل بين فسـيل النخـل عنـد غرسـها وتبلـغ ثمانيـة عشر قدمـا ، إذ المتعـارف تـرك تسعة أقدام لكل فسيلة .

السطر : وهي قطعة أرض مستطيلة الشكل وعرضهـا بسـيط وهـو المسـافة الواقعة بين ساقيتين متوازيتين وقريبتين من بعضهما البعض .

المنجـي : وهـو قنـاة صـرف الميــاه الزائـدة ، وهــي ضروريــة للنباتـــات للتخلص مـن المـاء الزائـد عـن حاجتهـا والموجود في التربة وعادة ما تصـب ميـاه المنجى في البحر .

الساب : وهو أيضا قناة صرف لمياه الري ويكون عادة لمياه العيون الطبيعية.

الساقية : وهـي أيضـا قنـاة لميــاه الري وكثيرا ما كانت الحد الفاصل بـين الأملاك المختلفة .

السيحة : وهـــي الأرض الزراعيــة الكبيرة أو المنطقة الزراعيـة والـتي تحـد القرى باستثناء البيوت الموجودة فيها .

الدولاب : وتعـني البسـتان والـذي يطلق عليه أيضا النخل مجازا حيث أن

أشجار النخيل هي غالب ما يزرع فيه ، وهو أرض زراعية كبيرة ولكن أصغر من السيحة طبعا .

الدالية : أرض زراعية صغيرة نسبيا وهي أصغر من الدولاب ، وسميت بذلك لأنها تسقى بالدلو .

الجوبار : وهي الأرض الزراعية غالبا ما تكون مستطيلة الشكل ومساحتها بين الدولاب والدالية وتجمع فيها مياه الري ، وفي القاموس المحيط(٤٩) ، الجوبار هو مسيلال نهر صغير ، وجوى بالفارسية النهر الصغير وبار مسيلة .

الصرمة : وهي الأرض الزراعية البسيطة المساحة وهي أصغر من الدالية، وفي اللغة من الفعل (صرم) الشجر والنخل أي جزه ، والصريم الأرض المحصود زرعها ، كما يقال لقطع السحب (صرمه) وكذلك للإبل إذا كان عددها من العشرة إلى الأربعين، وغالبا ما تكون مساحة الصرمة من الأرض من عشرة إلى أربعين مغرسا ، ويذكر ابن منظور في لسان العرب(٥٠) أنه يروي عن ابن الأثير أن الصرام يطلق على النخل لأنه يصرم كما يطلق على القطعة المنقطعة من معظم الرمل الصريم والصريمة ، ثم أضاف ابن منظور أن ابن عيينة قال أن الصرمة هي قطعة من النخل خفيفة.

الخريس : وهي الأرض التي بقرب البحر ولا تصلح للزراعة وقد يغطيها البحر في بعض الأحيان .

الخيس : وهي النخيل التي تسقى بطريقة السيح ، إذا كان مستوى أرض النخل منخفضا ، ويكون السقي عن طريق الجصة ، وجمعها أخياس(٥١)

النخل : المزرعة الواحدة من النخيل، وجمعها نخيل .

وقد كانت أشجار النخيل أهم المنتجات الزراعية في البحرين ، كما كانت تزرع أشجار الرمان والتين والموز والأترج والخوخ والمشمش والنبق (الكنار) والليمون والتوت واللوز ، بالإضافة إلى البرسيم الحجازي وقليل من الخضراوات كالخيار والجزر والكراث والبصل والباذنجان(٥٢) ، وقد ساهمت وفرة المياه والينابيع والعيون الطبيعية في ازدهار الزراعة في البحرين، حتى كانت السواقي والجداول تعم الأراضي الزراعية في البلاد والتي تغطي معظم الجزء الشمالي من جزيرة المنامة ،

والتي وإن اندثرت إلا أن الصور الجوية القديمة والتي التقطت منذ الأربعينات تبين العديد مما تبقى من هذه السواقي، بل إنه في بعض المناطق من البلاد مازالت بعض آثار جذوع النخيل تشهد على ذلك ، ومما لاشك فيه أن انخفاض منسوب المياه الطبيعية في البحرين ، والذي تأثر بعدد من العوامل كان له جل الأثر في ذلك .

صفحة جديدة من تاريخ التسجيل

يرجع الفضل في تأسيس الطابو في البحرين إلى الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة نائب الحاكم آنذاك(٥٣)، والذي باشر بنفسه قضايا النزاعات في الأراضي ، كما قام بتسوية العديد منها ، وفي قضايا بيع عقارات تخص آخرين أو التي بيعت لأكثر من مرة ، فقد عاوض أصحابها ماديا ، وقد أكسب ذلك الشيخ حمد خلفية وخبرة كبيرة ساهمت في تذليل الصعاب التي واجهها المساحون فيما بعد ، لذلك طلب الشيخ حمد في نوفمبر ١٩٢٣م من حكومة الهند الاستعانة بفريق من المساحين للعمل في البحرين(٥٤) .

وفي عام ١٩٢٤م ، أسس مكتب تسجيل الأراضي وعهد إليه تسجيل بيوع ونقل ملكيات الأراضي والعقارات، وللنظر في النزاعات فيها ، وقد أعدت الحكومة ميزانية لهذا الغرض بلغت عشرين ألف روبية للمساحة وخمس وعشرين ألف روبية للتعويض عن مشاكل الملكية والواردة سابقا ، وفي أبريل ١٩٢٤م تقدمت الحكومة إلى المساح العام للهند بطلب المساعدة لتزويد البحرين بعدد من المساحين لمسح الجزء الشمالي من جزيرة المنامة وجزيرة سترة وجزيرة المحرق ، وقد أعد المساح العام في الهند خطة للمسح تزيد تكلفتها بسبعين ألف روبية عما كان مقررا .

وفي عام ١٩٢٦م استحدثت دائرة تسجيل الأراضي بدلا من مكتب تسجيل الأراضي ، ومن ضمن الدائرة أنشيء قسم للمساحة وبدأ العمل بموظف ومساح ومساعد مساح ، ومن ثم بدأ المساحون الهنود في التوافد إلى البلاد ، واستطاع القسم خلال هذا العام مسح مدينة المنامة وعشر قرى أخرى وذلك باستخدام جهاز السطح المستوي .

وخلال النصف الأول من عام ١٩٢٧م كان الإنجاز الساحي يسير سيرا طيبا وحثيثا فقد استطاع المساحون الهنود

الثلاثة العاملون بالقسم مسح خمس عشرة قرية مع تدوين حقوق الملكية والحقوق الأخرى المتعلقة بها في سجل خاص بها ، كما تم إعداد خرائط لخمس قرى أخرى .

لقد كانت هذه هي البداية لما يعرف بالمسح العمومي في البحرين ، الذي استمر حتى عام ١٩٣٧م ، حيث تم إنجاز المسح لجميع قرى البحرين وجزرها ، بما فيها مجموعة جزر حوار والتي مسحها عبد الواجد دار في ٩/١٤/١٣٥٦هـ (١٩٣٧/١١/١٧م) ، ولازالت إدارة التسجيل العقاري تحتفظ بالخارطة الأصلية مع الخرائط الأخرى التي أنتجها المسح العمومي خلال تلك الفترة .

ومن الطريف أن يعرف سجل الملكيات بدفتر (الشذول) وذلك كتعريب لكلمة Schedule الإنجليزية والتي هي أصلا من اللغة العربية (الجدول) ، وقد كانت جميع البيانات الواردة فيه باللغة الإنجليزية والتي يدونها الساحون الهنود أثناء عملهم في الموقع .

وقد كانت تشمل الرقم المتسلسل واسم العقار واسم المالك ووصفا للعقار ، وقد كان لكل قرية سجل خاص بها أو ربما أكثر من سجل يشملها مع المزارع أو البرية المحيطة بها ، فقد غطى المسح العمومي أغلب مناطق البحرين المأهولة والزراعية وقد كان الهدف من هذا المسح إعداد خرائط عقارية ، شملت جميع المزارع والبساتين والتي تعتبر وحدات عقارية في ذاتها .

وكانت هذه الخرائط ومعها سجل الملكية (الشذول) تعتبر أصلا في دعاوى تثبيت الملكية والسند الذي ترجع إليه إدارة الطابو للطعن في الدعاوى الباطلة .

وكان المسح يتم بواسطة السطح المستوي والذي يستخدم معه التلسكوب وكذلك شريط القياس وكان اعتماد المسح وكذلك حدود العقارات على العلائم الطبيعية والموجودة آنذاك مثل السواقي والعيون والأسوار والتي كان أغلبها من سعف النخيل (**البرستي**) ، كما تم تبيان المساجد المبنية أو أي بناء آخر على الخرائط ، وكانت هذه الخرائط مصنوعة من ورق الكتان وأما الوحدات المستخدمة فهي القدم والبوصة ، كما كان قياس الرسم المستخدم هو بوصة لكل ٣٢ قدما (١``:٣٢`)أو بوصة لكل ٦٤ قدما (١``:٦٤`) كما توضح هذه الخرائط نقاط التحكم المستخدمة بهذه

الطريقة وهي نقاط غير دائمة ، ولم يتبق من عملية المسح العمومي إلا الخرائط العامة ووثائق الملكية ، أما دفاتر ومسودات المشاهدات الحقلية فكان مصيرها وللأسف التلف أو الفقدان .

وتختلف الخرائط العامة هذه عن بعضها البعض في الحجم والمساحات التي تغطيها وإن كان أغلبها يغطي مساحة تقارب ٢٠٠٠ قدم ×٢٠٠٠ قدم على الطبيعة ، كما قد تحتاج منطقة واحدة لأكثر من عشرين خارطة لتغطيتها ، وقد تم إعطاء كل قطعة أرض رقما تعرف به على الخارطة والتي تحمل رقم الجزء من خارطة المنطقة ، لذا من السهل التعرف على أية قطعة أرض أو وحدة عقارية برقمها ورقم أي جزء من المنطقة واسم المنطقة .

وقد رسمت جميع الحدود كخطوط مستقيمة مع رسم قنوات صرف المياه المحيطة بها بخطين ، كما تم رسم التفاصيل الهامة مثل المساجد والبيوت والعيون والآبار والطرقات ، وقد تم استخلاص خرائط العقارات المنفصلة والتي ترسم على وثائق ملكيتها وبمقياس رسم ١``: ١٠٠` أو ١``: ٢٠٠` مع توضيح أسماء وأصحاب العقارات المجاورة وأرقام مقدمات التسجيل .

وقد ظلت هذه الخرائط على الرغم مما اعتراها من مرور الزمن مرجعا هاما للملكية وللمسح في البحرين ، كما أنها كانت الأساس عند إعداد مشروع إحداثيات الأراضي في الثمانينات أي بعد نصف قرن .

وقد كانت إجراءات التسجيل تبدأ عند الإعلان عن البيع ، حيث يتم مسح العقار محل البيع وتعد خارطة له وبوجود المالك ، وينشر وصف موجز عن العقار وتعطى مهلة شهر واحد للاعتراض . وفي حال عدم وجود أي اعتراض تستكمل إجراءات إعداد الوثيقة مع خارطتها ، ويستحصل رسم وقدره عشر روبيات على كل وثيقة ، ويحتفظ بنسخة من الوثيقة في الدائرة ، ونسخة أخرى عند المالك(٥٥) .

وكانت الوثائق عبارة عن ورق متين ومن الخلف ملصق عليها ورقة أخرى قوية مرسوم عليها خارطة العقار وتحمل جميع الوثائق الرسمية مهر الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ، وذلك بعد أن يتم التدقيق فيها وبعد نشر إعلان رسمي لمدة ثلاثة شهور في حال التسجيل لتثبيت الملكية ، ولشهر واحد في حال البيع .

وقد كانت الوثائق تخط باليد ، ويقوم بكتابتها بعض الموظفين الذين

يتحلون بخط جميل ، ومنهم الشيخ صقر الزياني وعبد الخالق الكتبي ، وقد كانت الوثائق أسوة بجميع المعاملات الرسمية تؤرخ بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى عام ١٩٥٤م حيث استخدمت السنة الميلادية .

لقد كانت عملية التسجيل العقاري تتطلب جهودا غير بسيطة ، سواء على الطبيعة كمسح العقار وأخذ الأبعاد والتحقق من حقوق الري والسقي ، أو من خلال إعداد الإعلانات وكتابة الوثائق وتدوين التسجيل في مستندات الدائرة .

وقد بدأت الحكومة في تأجير الأراضي المتاخمة للمنامة والمحرق ، والتي غالبا ما تؤجر لأفراد سبق لهم استغلال الأراضي دون مستند قانوني أو ترخيص رسمي ، وعلى الرغم من أن الإيجارات كانت منخفضة ، إذ كانت تبلغ الروبيتين في الشهر وأحيانا بإيجار رمزي يبلغ آنتين ، إلا أن المبدأ الأساسي المنطوي تحت هذا الإجراء هو حفظ حقوق وأملاك الدولة من الضياع ، وكان هذا الإجراء يتم ضمن مسئولية دائرة تسجيل الأراضي أيضا .

ويذكر المستشار بلجريف عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩-١٩٣٠م) أن العمل المساحي في المزارع صيفا مضر جدا بصحة المساحين مما أدى إلى مرض بعضهم ، وذلك نظرا لكثرة البعوض وسوء الأحوال الصحية آنذاك [٥٦] ، وجدير بالذكر أنه غالبا لا يجد المساح وسيلة للمواصلات غير الحمير فقد كانت السيارات نادرة الوجود في البحرين ، وإن وجدت فإن الطرق لم تكن ممهدة أو مرصوفة وإن الوصول إلى موقع المسح بين النخيل والقرى كان رحلة من العذاب .

وقد ورد في التقرير المالي لسنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧-١٩٢٨م) أن الدخل من رسوم التسجيل العقاري بلغ ١٩٧٣ روبية ، في حين بلغ عدد التعاملات من نقل الملكية ما يقارب الثلاثمائة حالة ، وهو يدل على زيادة الوعي عند الناس لأهمية دائرة الأراضي ، وجدير بالذكر أن قسم المساحة ساهم في ذلك العام في مسح المنطقة قليلة العمق والواقعة بين المنامة والمحرق والمقترحة لموقع الجسر الذي سيربط بين هاتين الجزيرتين لأول مرة[٥٧] .

كما قامت الحكومة حينها بشراء عدد من الأجهزة المساحية على دفعات، على الرغم من التكلفة الباهظة لهذه الأجهزة ، وذلك إيمانا منها بدور المساحة والثمار المأمول جنيها من هذا العمل خلال السنوات القادمة ، إضافة إلى وضع حد للنزاعات بين الملاك على حقوق المياه والسقي(٥٨) .

وأما في عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨-١٩٢٩م) وعلى الرغم من اعتماد ثمانية مساحين في الميزانية لذلك العام إلا أنه وإلى الصيف كان قسم المساحة يعمل بمساح واحد ، وفي عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩-١٩٣٠م) بدأ التفكير في زيادة رسوم التسجيل لتتناسب مع قيمة العقار ولتخفف من العبء الملقى على الحكومة لتغطية تكاليف المسح .

وعلى الرغم من أن دائرة تسجيل الأراضي بدأت عام ١٩٢٤م إلا أن القوانين كانت تصدر تباعا وذلك لتلبية متطلبات ذلك الوقت ، وكانت تصدر على هيئة إعلانات حكومية ، فهناك إعلان يختص بالأراضي "**الرحمانية**" وآخر بمن لهم حق التعامل في الأراضي، إلا أن أهمها هو الإعلان "**نمرة** ١٣٦٠/١هـ" والذي ينظم عملية التسجيل العقاري وكانت تلك الإعلانات تصدر باسم مستشار حكومة البحرين حتى عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م)، وجدير بالذكر أن المرسوم الأميري رقم ١٥ لسنة ١٩٧٩م بشأن التسجيل العقاري لم يلغ تلك القوانين والإعلانات السابقة التي لا تتعارض مع أحكام هذا المرسوم .

ومازال أصل هذه الإعلانات وهو سجل مكتوب بخط اليد للإعلانات التي كانت تصدر أولا بأول ، موجودا في إدارة التسجيل العقاري(٥٩) .

وقد كانت دار المستشارية وهي المبنى الواقع غربي السفارة البريطانية حاليا ، تضم دائرة الطابو والسكرتارية والمالية والمحكمة ومكتب المستشار ومدير الزراعة ، كما شغلت دائرة الطابو المبنى القديم والذي أقيم عليه مبنى باب البحرين(٦٠) ، وفي ١٩٣٧/١١/١٨م أفتتح مبنى محاكم البحرين من قبل الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين آنذاك وشمل المبنى في البداية بجانب المحاكم دائرة الأوقاف ودائرة أموال القاصرين ودائرة الطابو .



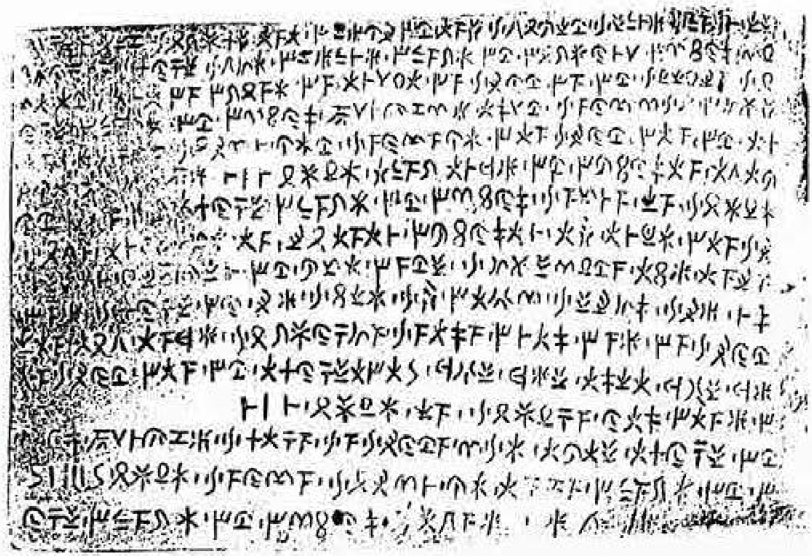
صورة للعاملين في الحكومة ، (وهي إهداء من السيد محمد صالح محمود) ، ويبدو فيها :

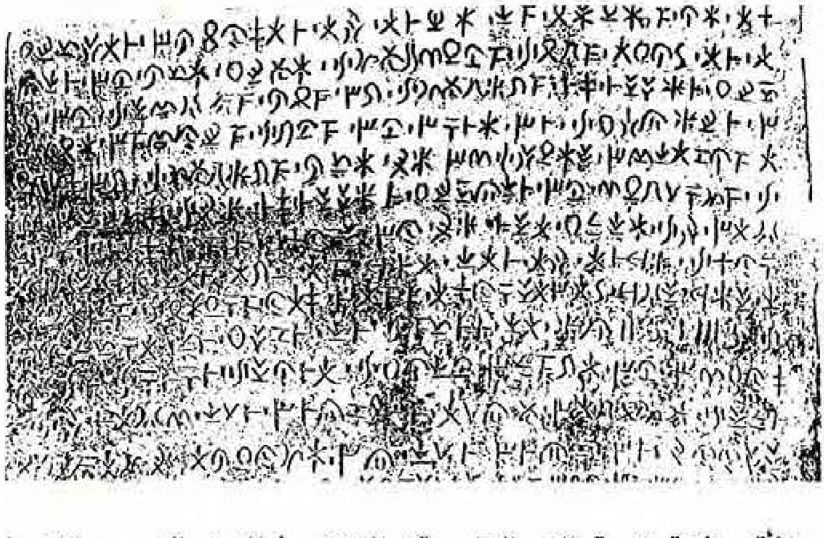
الصف الأول : (من اليمين)

عبد الخالق الكتبي ، السيد نارابن ، المستشار بلكريف ، صقر محمد الزياني ، محمد خليل ميمن ، عبد الله بن راشد .

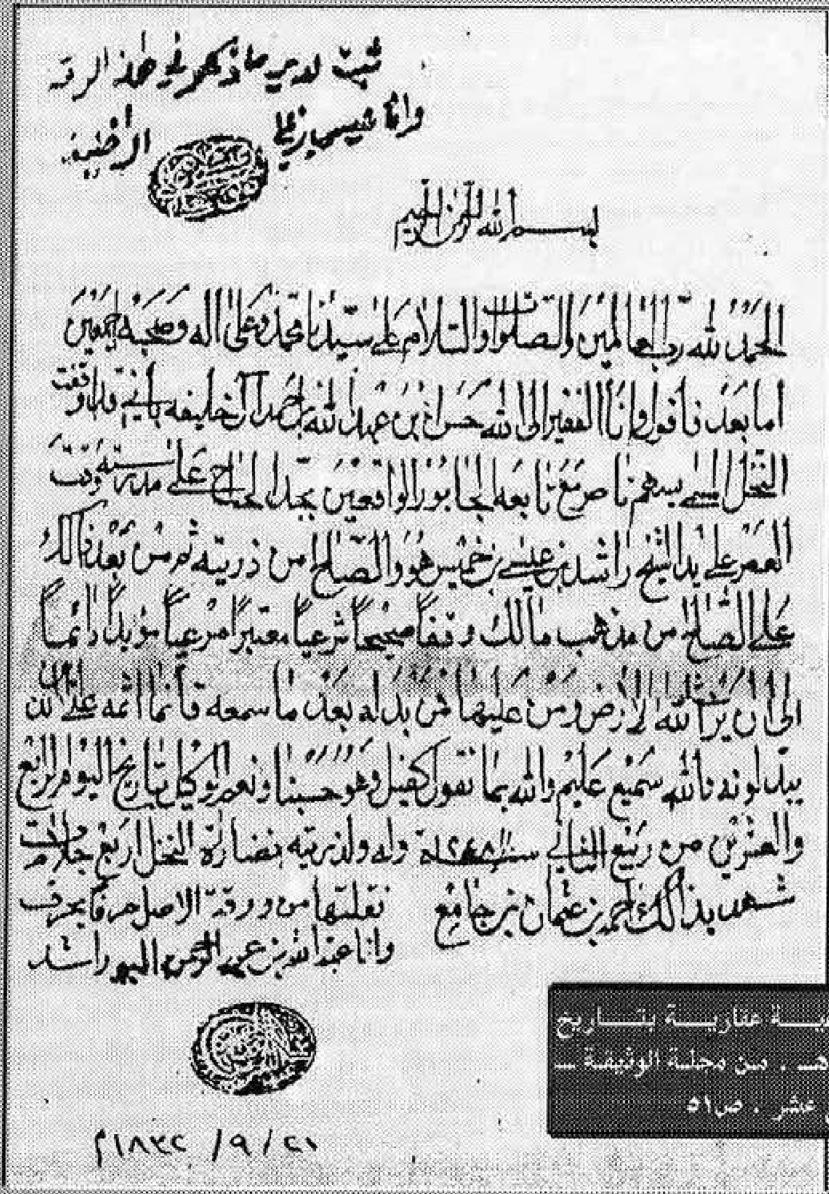
الصف الثاني : (من اليمين)

عبد العزيز الصالح ، محمد حسن الحسن ، جعفر الصالح ، يعقوب زلوف ، السيد محمود العلوي .





صورة لأقدم وثيقة عقارية (القرن الخامس قبل الميلاد) ، في المتحف القبرصي بنيقوسيا



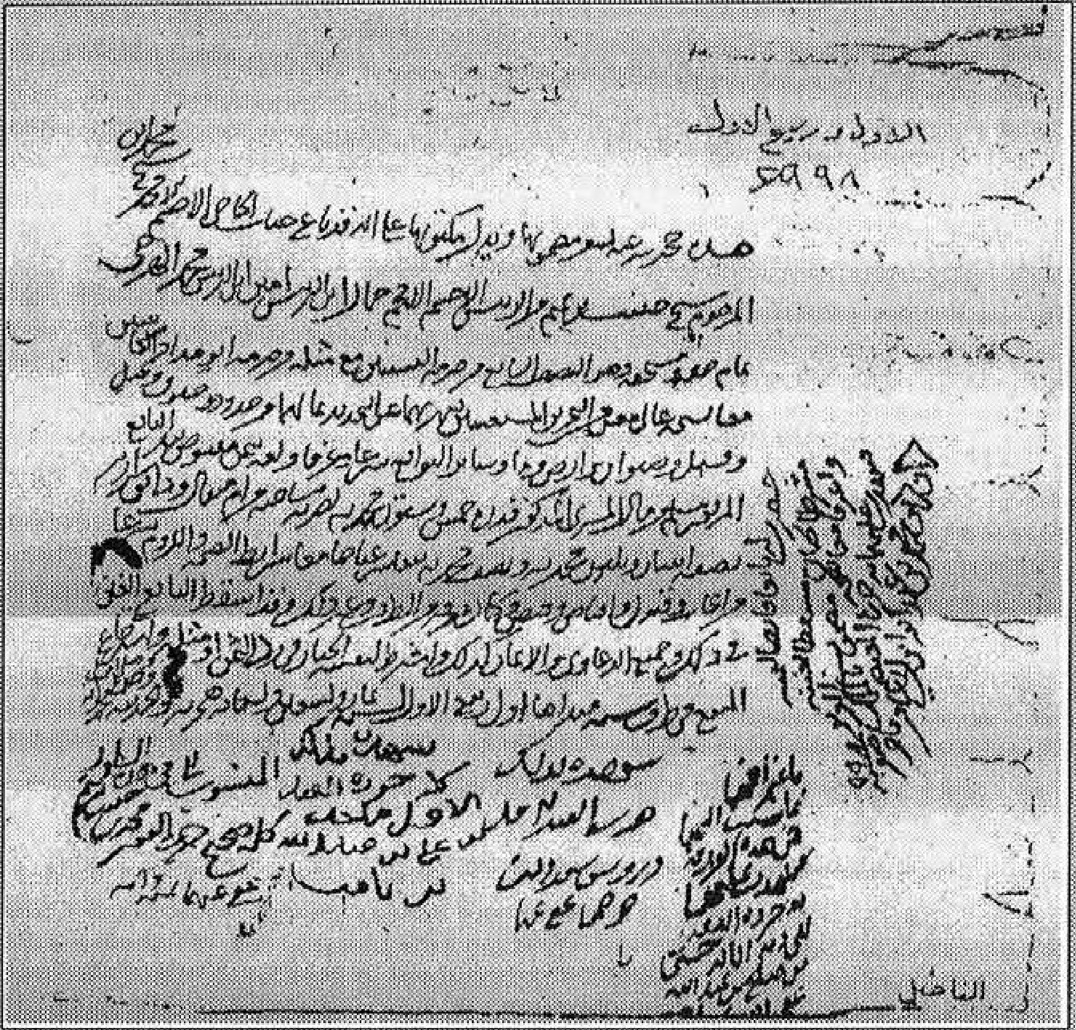
ثبت لدي ما ذكر في هذه الورقة
وأنا [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

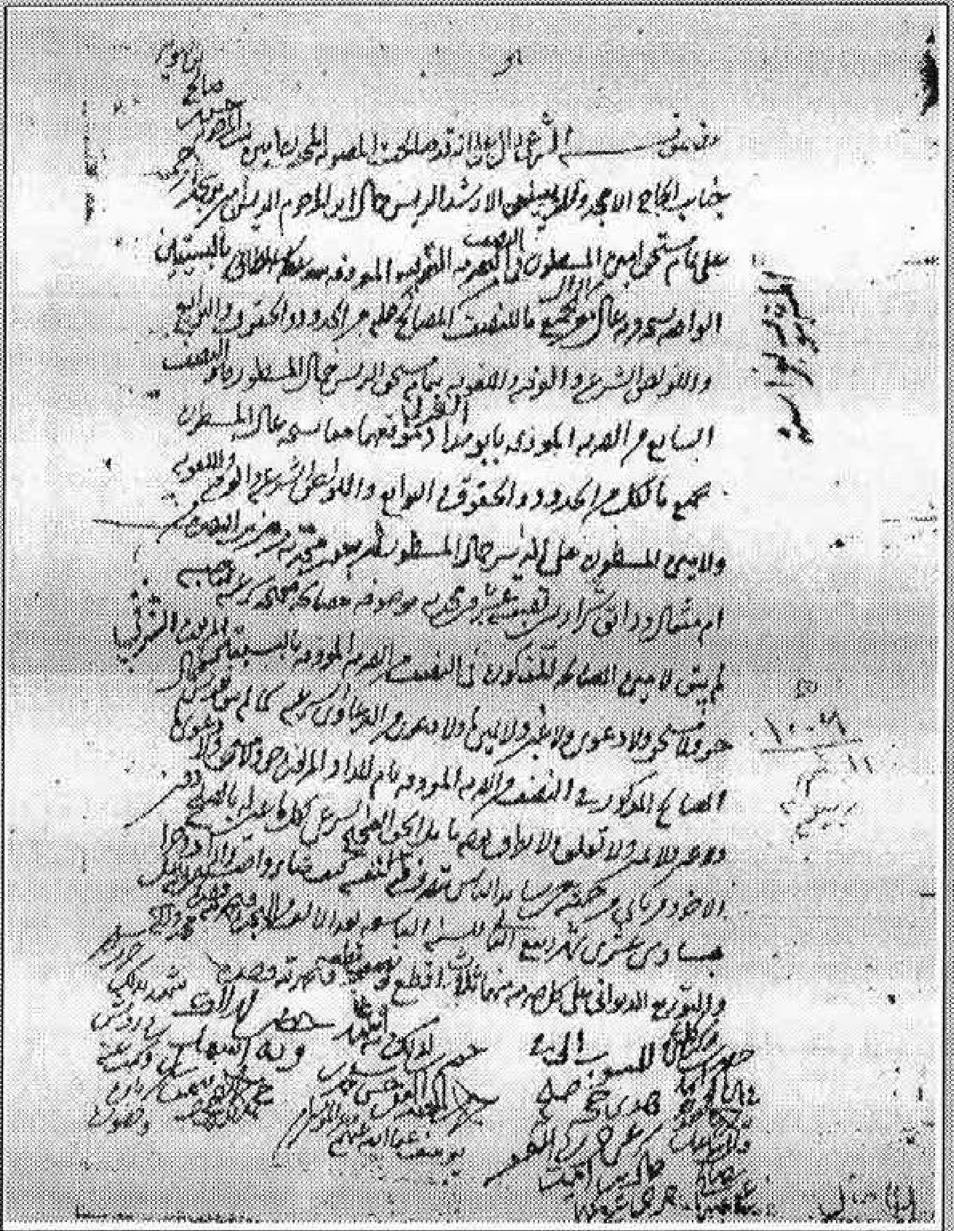
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد فأقول وأنا الفقير إلى الله حسن بن عبد الله بن أحمد آل خليفة بأنني قد أوقفت
النخل الذي يسمونه ناصر تابعة الجابور الواقعين بجد الحاج على مدة سنة وقف
العمر على يد الشيخ راشد بن عيسى بن خميس هو والصالح من ذريته ثم من بعده كذلك
على الصالح من مذهب مالك وقفاً صحيحاً شرعياً معتبراً مرعياً مؤبداً دائماً
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين
يبدلونه إن الله سميع عليم والله بما نقول وكيل وهو حسبنا ونعم الوكيل تاريخ اليوم الرابع
والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ وله ولذريته نضارة النخل أربع
شهد بذلك أحمد بن عثمان بن جامع
نقلتها من ورقة الأصل كما عرفت
وأنا عبد الله بن عبد الرحمن ... راشد

٢١/٩/١٨٣٢م

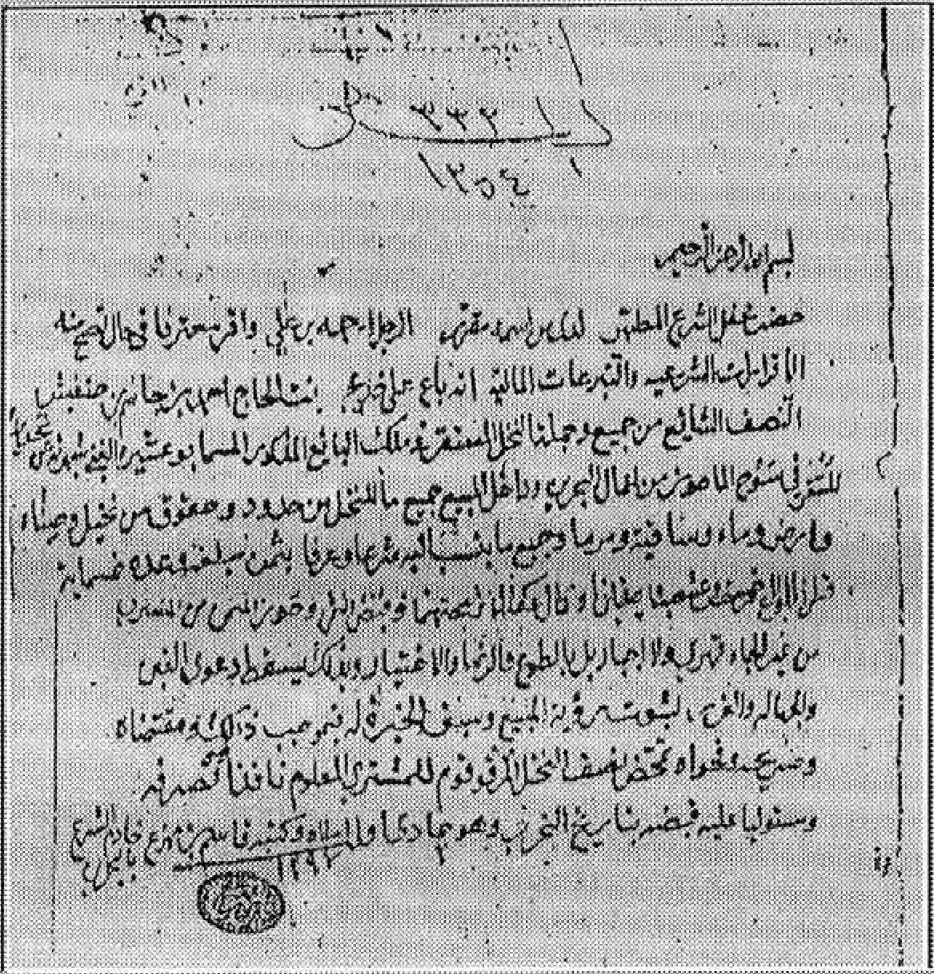
صورة وقفية عنازية بتاريخ ١٢٤٨/٤/٢٤هـ . من مجلة الوثيقة ــ العدد التاسع عشر . ص٥١



صورة لصك شرعي بتاريخ ٩٩٨/٣/١ هـ . والأصل في متحف البحرين الوطني .



صورة لصك شرعي بتاريخ ١٠٠٩/٤/١١هـ، والأصل في متحف البحرين الوطني.


٣٣٣
١٢٥٤

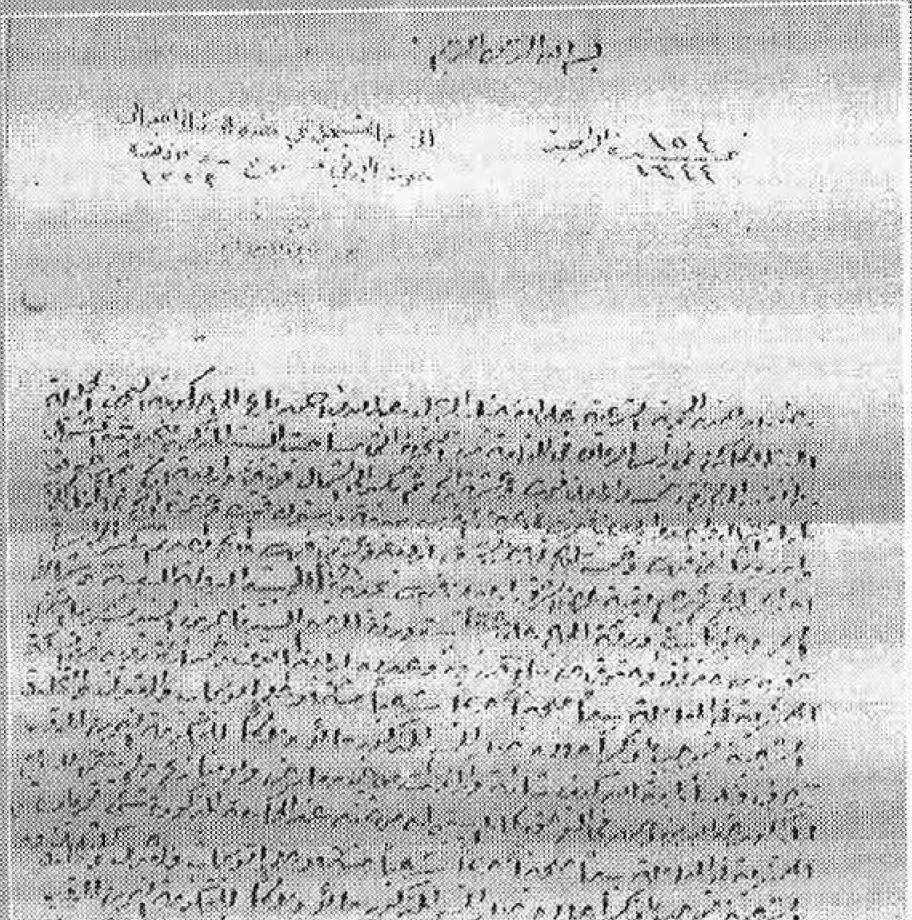
بسم الله الرحمن الرحيم

حضر في محل الشرع المطهر لدى من اسمه [illegible] الرجل احمد بن علي واقر معترفا في حال الصحة الاقرارات الشرعية والتبرعات المالية انه باع على [illegible] بنت الحاج احمد بن جاسم بن [illegible] النصف الشائع من جميع وجملة النخل المستغرق في ملك البائع المذكور المسمى بو عشيرة [illegible] للشرق في [illegible] من اعمال البحرين وداخل المبيع جميع ما للنخل من حدود وحقوق من نخيل وبناء [illegible] وماء [illegible] وجميع ما ينسب اليه شرعا وعرفا بثمن مبلغه وعدده خمسمائة قران [illegible]

من غير اكراه [illegible] ولا اجبار بل بالطوع والرضا والاختيار [illegible] يسقط دعوى الغبن والجهالة والغرر [illegible] رؤية المبيع وسبق الخبرة له [illegible] ذلك ومقتضاه [illegible] النخل [illegible] للمشتري المعلوم [illegible]

[illegible] عليه [illegible] بتاريخ [illegible] وكتبه قاسم بن مهزع خادم الشرع بالبحرين
١٢٩٧

صورة لصك شرعي بتاريخ ٢/٩/ ١٢٩٧ هـ ، كتبه القاضي الرئيس قاسم بن مهزع



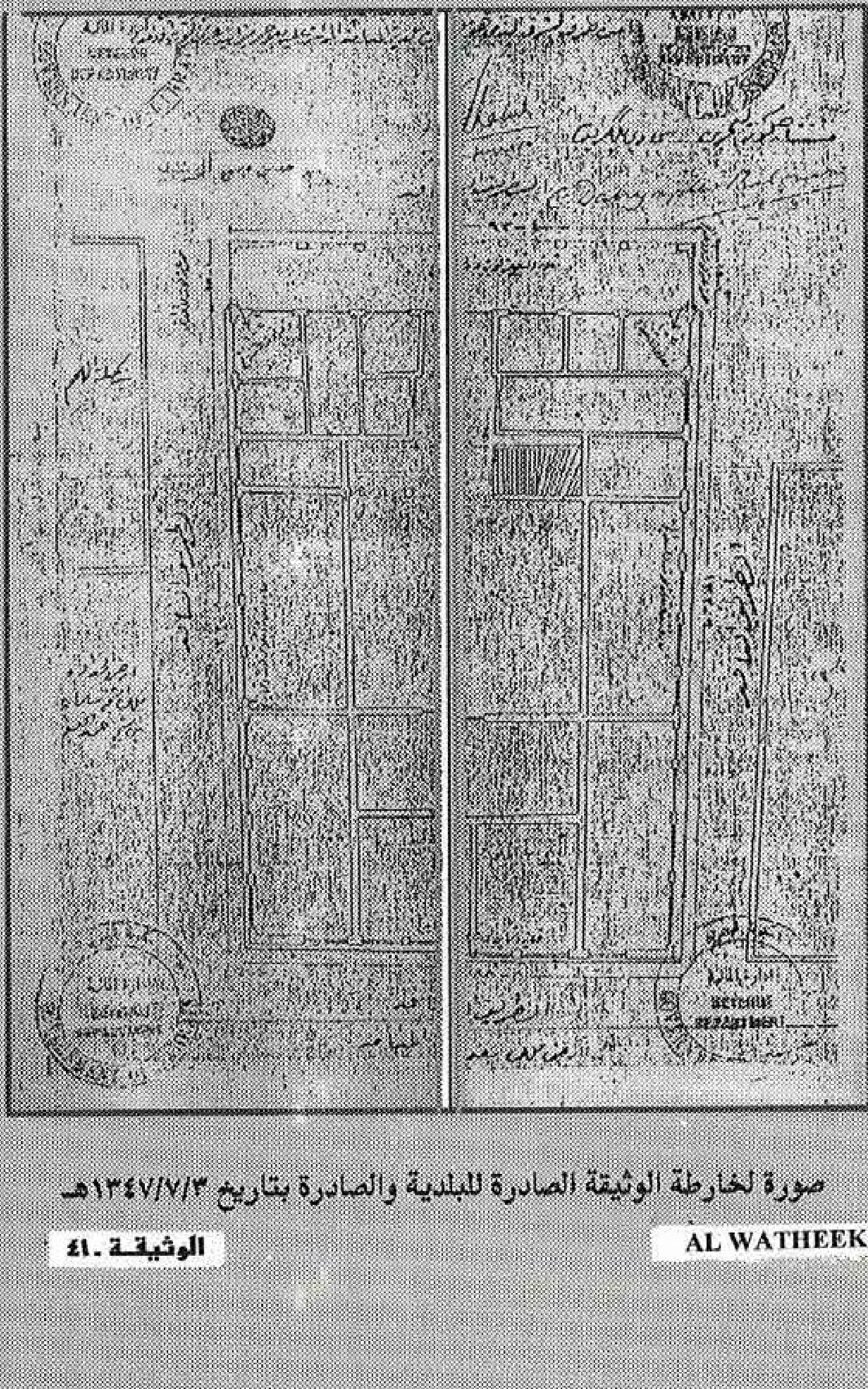
رة لورقة شراء
ومة لعقار بتاريخ
/١٣٤٤هـ . في
رمان .



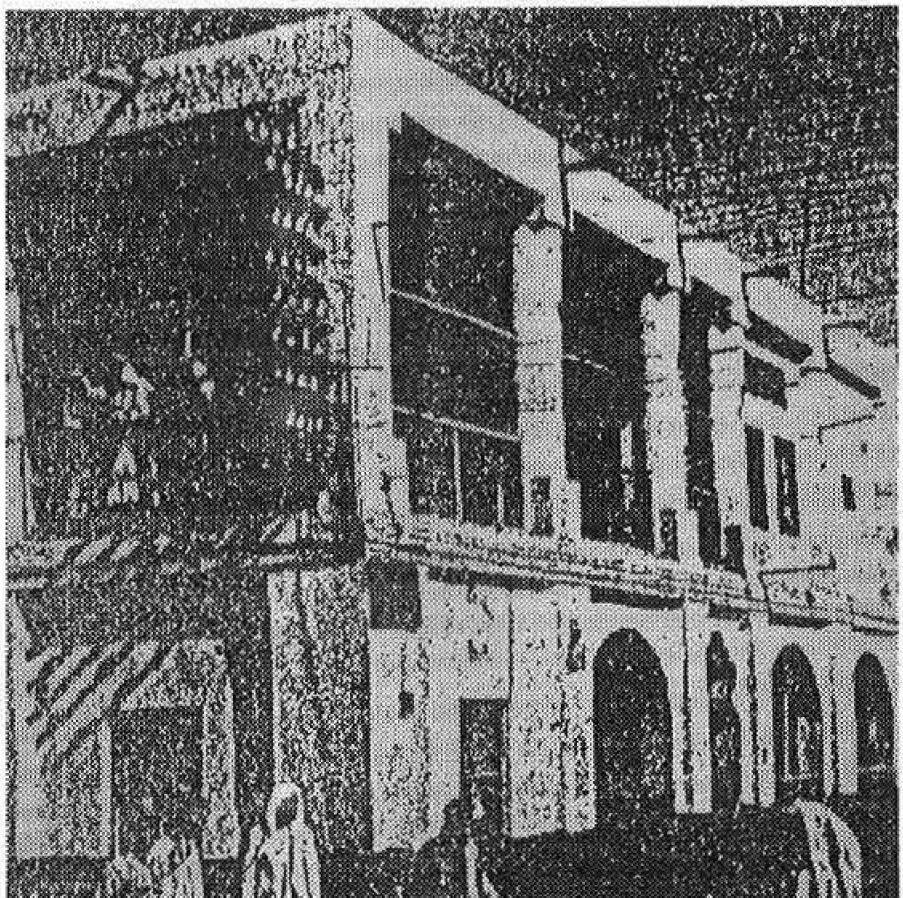
بسم الله الرحمن الرحيم

حكومة البحرين

صورة للوثيقة الصادرة للبلدية بتاريخ ١٣٤٧/٧/٣هـ .



صورة لخارطة الوثيقة الصادرة للبلدية والصادرة بتاريخ ١٣٤٧/٧/٣هـ



صورة عن كتاب المريخي للمبنى الذي كان يضم الطابو ، والذي كان موجوداً مكان باب البحرين حالياً

جدول (١) يبين عـــدد المقدمات التي سجلت في الطابو

السنة الهجرية	السنة الميلادية	عدد المقدمات
١٣٤٦	٢٧ ـ ١٩٢٨	٢٨٠
١٣٤٧	٢٨ ـ ١٩٢٩	٣٥٧
١٣٤٨	٢٩ ـ ١٩٣٠	٤٦٤
١٣٤٩	٣٠ ـ ١٩٣١	٣٩٤
١٣٥٠	٣١ ـ ١٩٣٢	٥٧٥
١٣٥١	٣٢ ـ ١٩٣٣	٤٤٤
١٣٥٢	٣٣ ـ ١٩٣٤	٤٤٣
١٣٥٣	٣٤ ـ ١٩٣٥	٥٣٧
١٣٥٤	٣٥ ـ ١٩٣٦	٥٤٥
١٣٥٥	٣٦ ـ ١٩٣٧	٧٥٦
١٣٥٦	٣٧ ـ ١٩٣٨	٥١٦
١٣٥٧	٣٨ ـ ١٩٣٩	٧١٠
١٣٥٨	٣٩ ـ ١٩٤٠	٥٧٣
١٣٥٩	٤٠ ـ ١٩٤١	٤٥٧
١٣٦٠	١٩٤١	٨٣٧
١٣٦١	١٩٤٢	٩٢٣
١٣٦٢	١٩٤٣	٨٧١
١٣٦٣	١٩٤٤	٧٣٨
١٣٦٤	١٩٤٥	٩٤١
١٣٦٥	١٩٤٦	٧٥٠
المجموع خلال عشرين سنة		١٢١١١

المصدر :

The Bahrain Government Annual Reports , Vol. 3, Annual Report for year 1365, page57 .

الهوامش

١ _ الزريقي ، التوثيق العقاري في الشريعة الإسلامية ، ص٢٥ .

٢ – سوسة ، الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية ، ص١١ ، ١٢ .

٣ – د. شتا ، سجلات المساحة التفصيلية وتسجيل الأراضي في مصر ، ص١ .

٤ – الزريقي ، ن.م.س. ، ص٢٥ .

٥ – كمون ، تجربة تونس المستفادة في مجال مسح الأراضي وتقويمها وتسجيل الصكوك العقارية ، ص٥.

٦ – نفس المصدر السابق .

٧ – Simbson , Land Law and Registration , Pages 110 - 118

٨ – ورد هذا الحديث في كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي (المتوفى سنة ٢٠٣هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ، والذي انتهى بقوله في صفحة ٩٢–٩٣ : ومن هذه الأحاديث نعلم أن للحديث أصلاً صحيحاً من حديث علي وابن عباس . وانظر صحيح مسلم ٣/ص١٥٦٧ .

٩ – أورده البخاري تحت باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض ، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، وقام بشرحه الإمام ابن حجر في فتح الباري ، ١٢٣/٥ .

١٠ – السيوطي ، الحاوي للفتاوى ، ص١٤٤ .

١١ – ورد هذا الحديث بهذا الإخراج في كتاب أسباب النزول للسيوطي ، ص٩٥ ، كما أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ، ص٣٧٥ ، عند تفسير الآية ٧٧ من سورة آل عمران .

١٢ – طلس ، تاريخ العرب ، الجزء الثاني ، المجلد الأول ، ص١٧٢ .

١٣ – تاريخ اليعقوبي ، ١٥٤/٢ – ١٥٥ .

١٤ – الكتاني ، التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية ، ٢٧٦/١ .

١٥ – وكيع ، أخبار القضاة ، ١٧٤/٢ .

١٦ – العز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، ١١٨/٢ .

١٧ – الزريقي ، ن.م.س. ، ص١٠١ .

١٨ – المطمر خيط للبناء يقدر به ، انظر الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، ص٧٩ .

١٩ – الزريقي ، ن.م.س. ، ص١٠١ .

٢٠ – تاريخ الطبري ، ٧/ ٦١٨ .

٢١ – صيام ، أصول في المساحة ، ص ٢٢ .

٢٢ – يذكر الدكتور محمد شوقي محمد خليفة في كتابه المتاحف في أقطار الخليج العربي والجزيرة العربية ، ١/ ١٧١ ، أن متحف البحرين (يضم من أقدم وأهم الوثائق وهي ترجع إلى ٩٨٨هـ " ولعله كان يعني ٩٩٨ " . وهي فترة الاحتلال البرتغالي للبحرين ، وهي وثيقة بيع نخل بقيمة ٣٠٠ محمدية فضلية فضية) . والتاريخ هو ٧ ربيع الثاني ٩٩٥هـ الموافق ٣/١٧ /١٥٨٧م ، والوثيقة الأخرى بتاريخ ٨ ذي الحجة ٩٩٨هـ الموافق ١٥٩٠/١٠/٧م .

٢٣ – كمون ، ن.م.س. ، ص٥ ، وجدير بالذكر أن الأغالبة حكموا تونس منذ عام ١٨٤هـ ولمدة ١١٢ عاماً.

٢٤ – الزريقي ن.م.س. ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ .

٢٥ – ن.م.س.

٢٦ – كما تم في عام ١٨٦١م الاتفاق على أن طول القصبة هو ٣,٥٥ متراً ، كما يذكر ذلك السير أرنست دوسون وشيبرد في الجزء الأول من مقالهما The Cadastral Survey Of Egypt 1879 - 1907 والمنشور في مجلة Survey Review Empire المجلد ٥٨ ، ص ٤٨ .

٢٧ – د. شتا ، ن.م.س. ،ص٢ .

٢٨ – Simpson> Land Law and Registration-pages 110 - 118 .

٢٩ – Ibid .

٣٠ – Simpson. Ibid. p. 110 - 118 .

٣١ – النبهاني ، التحفة النبهانية ، ص٣٩ .

٣٢ – أكبر ، عمارة الأرض في الإسلام ، ص١١٧ .

٣٣ – الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حكم البحرين في الفترة من ١٨٦٩ ـ ١٩٣٢م .

٣٤ – كما ورد في مجلة Empire Survey Review عام ١٩٣١ صفحة ٩٣ ـ ٩٥ ضمن Notices Progress of Iraq during the period 1920 - 1931 أن ذلك تم عام ١٩٢٠م .

٣٥ – Manaf, Hamza, Court Surveys for Unregistered Land Claims in Bahrain, page 9 .

٣٦ – المريخي ، Glimpses of Bahrain From Its Past، ص٢٢٢ .

٣٧ – لقد بدأ الاهتمام الأوروبي بمياه الخليج عامة قبل ذلك ، ومن الممكن الرجوع إلى مقال الدكتور حسام الخادم "مكانة الخليج العربي في الخرائط الأوروبية من القرن السابع عشر إلى التاسع عشر الميلادي" ، والمنشور في مجلة الوثيقة ، العدد السابع عشر ، صفحة ١٢٨ – ١٥٩ ، يوليو ١٩٩٠.

٣٨ – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ٣٤٦/١ – ٣٤٨ .

٣٩ – لوريمر ، ن.م.س. ، القسم التاريخي ، ٣/ ١٢٨٥ .

٤٠ – الكادستر Cadaster كلمة إنجليزية مأخوذة من اللغة الفرنسية ، وتعني المسجل العام للأملاك الثابتة من حيث المقدار والقيمة والملكية من أجل تحصيل الضرائب ، وذلك استنادا إلى ما ذكره S.R.Simpson في كتابه Land Law and Registration ، صفحة ٢ – ٤ .

٤١ – بيتر ديل هو أحد الخبراء في مساحة الأراضي وأستاذ المساحة في جامعة شرق لندن ، وترأس شعبة مساحة الأراضي في المعهد الملكي البريطاني للمساحة لعدة دورات وقد زار البحرين وجاء ذكر العبارة أعلاه ضمن كتابه الذي ألفه بالاشتراك مع ماكلوجلن : (Land Information Management) وذلك ص٢٠٩ .

٤٢ – توجد بالمتحف حوالي ثلاثين وثيقة تعامل بالعقارات يرجع تاريخها إلى ما قبل عام ١٣٠٠هـ .

٤٣ – د. أباحسين ، الوثيقة ، العدد ١٩ ، ص٥١ .

٤٤ – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ١/ ٣١٢ .

٤٥ – د. الحريري ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الحادية والعشرون ، صفحة ١٠٥ .

٤٦ – ورد ذلك في مقال للسيد K.M. Papworth في مجلة Empire Survey Review تحت عنوان Early Measurement of Arc in Iraq ، المجلد ٢٠ في الصفحات ٣٣٤ – ٣٣٦ .

٤٧ – لوريمر ، دليل الخليج ، ن.م.س.،١/ ٣١٣ .

٤٨ – النبهاني ، ن.م.س. ، ص١٣ .

٤٩ – القاموس المحيط ، ٤/ ١٣٩ .

٥٠ – لسان العرب ، ١٥/ ٢٢٨ .

٥١ – البراك ، مجلة الخفجي ، عدد يونيو ١٩٩٥ ، صفحة ٢٢ – ٢٧ .

٥٢ – النبهاني ، ن.م.س. ، ص٢٤ – ٢٥ ، وكذلك لوريمر ، ن.م.س. ، ١/ ٣٠٥ .

٥٣ – الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة عيِّن نائباً للحاكم منذ عام ١٩٢٢ حيث تولى الحكم إلى عام ١٩٤٢.

٥٤ – التاجر ، Bahrain 1920 _ 1945 , Britain and The Shaikh and the Administration , صفحة ٨٠ – ٨٢ .

٥٥ – التاجر ، ن.م.س. ، ص٨٠ – ٨٢ .

٥٦ – The Bahrain Government Annual Reports(1924 - 1956) Volume 1, page 159 .

٥٧ – Ibid. P.52 .

٥٨ – Ibid. P.81 .

٥٩ – أغلب هذه الإعلانات موجود في مكتبة الشئون القانونية التي كانت تتبع وزارة الدولة للشئون القانونية ، إلا أن بعضها لا يوجد إلا في إدارة التسجيل العقاري .

٦٠ – المريخي ، ن.م.س. ، ص٢٧ .

المصادر والمراجع

أولاً : باللغة العربية

- أباحسين ، د.علي *"الشيخ عيسى بن علي آل خليفة"* (الجزء الأول) ، مجلة الوثيقة ، العدد التاسع عشر ، السنة العاشرة ، يوليو ١٩٩١ ، مركز الوثائق التاريخية ـ البحرين .
- أكبر ، جميل عبد القادر *" عمارة الأرض في الإسلام"* الطبعة الأولى ١٩٩٢م دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ بيروت .
- البراك ، د. سعد بن عبد الله ، *"نظام الري والصرف القديم في واحة الأحساء"* ، مجلة الخفجي ، يونيو ١٩٩٥ شركة الزيت العربية المحدودة ، الخفجي ـ السعودية .
- البعلي ، د.عبد الحميد محمود ، *"الملكية وضوابطها في الإسلام"* ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ١٩٨٥م ـ القاهرة.
- حجر (ابن) ، أحمد بن علي (العسقلاني) ، المتوفى ٨٥٢هـ ، *"فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري"* ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، دار الريان للتراث ـ القاهرة .
- الحريري ، محمد علي حسيني ، *"النقود المتداولة في الدولة العثمانية"* ، مجلة الدارة ، العدد الثمانون ، السنة الحادية والعشرون ١٤١٦هـ ، دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض.
- الخادم ، د.حسام ، *"مكانة الخليج العربي في الخرائط الأوروبية من القرن السابع عشر إلى التاسع عشر الميلادي"* ، مجلة الوثيقة العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٠م ، مركز الوثائق التاريخية ـ البحرين .
- خليفة ، محمد شوقي محمد ، *"المتاحف في أقطار الخليج العربي والجزيرة العربية"* ١٩٨٤م، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ البصرة .

- الزريقي ، جمعة محمود ، *"التوثيق العقاري في الشريعة الإسلامية"* ، الطبعة الأولى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٨٥م - طرابلس ليبيا .
- السميح ، د.محمد بن علي ، *"ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية"* ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ، الرياض .
- سوسة ، أحمد ، *"الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية"* جزءان ، ١٩٧٤م ، نقابة المهندسين العراقية .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، (المتوفى ٩١١هـ) ، *"أسباب النزول"* ، دار الرشيد - دمشق و بيروت .

  "الحاوي للفتاوى" جزءان ، ١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية - بيروت .
- شتا ، د.عبد العزيز ، *"سجلات المساحة التفصيلية وتسجيل الأراضي في مصر"* ، مشاورة الخبراء بشأن استخدام الحاسب الآلي في رسم الخرائط وتسجيل الأراضي في الشرق الأدنى ، ١٩٩١م ، قبرص .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (المتوفى ٣١٠هـ) ، *"تاريخ الرسل والملوك"* عشرة أجزاء ، ١٩٦٣م ، دار المعارف - القاهرة .
- طلس ، محمد أسعد ، *"تاريخ العرب"* مجلدان ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ، دار الأندلس - بيروت .
- صيام ، يوسف ، *"أصول في المساحة"* ، ١٩٨٣م عمان - الأردن .
- عبد السلام ، أبي محمد عز الدين بن عبد العزيز (المتوفى ٦٦٠هـ) " قواعد الأحكام في مصالح الأنام" جزءان ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- الفيروزأبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، *"القاموس المحيط"* أربعة أجزاء ، دار العلم للجميع - بيروت .
- القرشي ، يحيى بن آدم ، (المتوفى ٢٠٣هـ) *"كتاب الخراج"* ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، دار التراث - القاهرة .
- الكتاني ، عبد الحميد ، *"التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية"* جزءان ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- كثير (ابن) ، عماد الدين إسماعيل ، (المتوفى ٧٧٤هـ) ، *"تفسير القرآن العظيم"* أربعة أجزاء، ١٩٦٩م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- كمون ، عادل *"تجربة تونس المستفادة في مجال مسح الأراضي وتقويمها وتسجيل الصكوك العقارية"* تقرير أعده لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة - مشاورة الخبراء بشأن استخدام الحاسب الآلي في رسم الخرائط وتسجيل الأراضي في الشرق الأدنى ، ١٩٩١م ، قبرص .

- لوريمر ، ج.ج. ، *" دليل الخليج العربي "* القسم الجغرافي ـ الجزء الأول ، والقسم التاريخي ـ الجزء الأول والثالث ، مترجمة بمكتب حضرة صاحب السمو أمير دولة قطر .

- مسلم ، *" صحيح مسلم "* تحقيق محمد فؤاد عبد الهادي ١٩٧٨م ، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة .

- منظور (ابن) ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، (المتوفى ٧١١هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ـ القاهرة .

- النبهاني ، محمد بن خليفة بن حمد بن موسى ، *" التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية "* الطبعة الأولى ـ ١٩٨٦م ، دار إحياء العلوم ـ بيروت .

- وكيع ، محمد بن خلف بن حيان ، *" أخبار القضاة "* ثلاثة أجزاء ، عالم الكتب ـ بيروت.

- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، *" تاريخ اليعقوبي "* جزءان ، بيروت .

ثانياً : باللغة الإنجليزية

- Al Muraikhi, Khalil, *"Glimpses of the Bahrain From Its Past"*, Government Press, Ministry of Information .

- Al Tajir, Mahdi Abdallah, *"Bahrain 1920- 1945 Britain, The Shaikh And The Administration"* , 1987, Croom Helm, London, New York and Sydney .

- Dale, Peter and McLaughlin. *"Land Information Management"* , Clarendon Press, Oxford 1988 .

- Dowson, E.M. and Sheppard, V. L. O. , *"The Cadastral Survey Of Egypt, 1879 - 1907"* Empire Survey Review, Vol. No`s. 57 - 59 .

- Hamza, Manaf. *"Cort Surveys for Unregistered Land Claims in Bahrain"* , Thesis submitted to the Royal Institution of Chartered Surveyors, U. K. 1993 .

- Papworth, K. M. , *"Early Measurement Of Arc In Iraq"* , Empire Survey Review, Vol. No. 20, pages 334 - 336 .

- "*Progress Of Iraq During the Period 1920 _ 1931*" , Empire Survey Review . 1931, pages 93 - 94 .
- Simpson, S. R. "*Land Law and registration*" . surveyors Publications . 12 Great George Street, London 1984 .
- "*The Bahrain Government Annual Reports (1924 - 1956)*" . Archive Editions, U. K. 1986 .

الحملة العثمانية على

ودورها



شرق الجزيرة العربية عام ١٨٧١
في تشكيل القوى السياسية في المنطقة

بقلم :
الدكتور فائق حمدي طهبوب [الإمارات]



استندت الدولة العثمانية في نزاعها مع بريطانيا في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر ، على حقوقها التاريخية بالسيادة الفعلية على مناطق الخليج العربي ، وكانت الأهداف العثمانية في الخليج العربي تختلف اختلافاً كبيرا عن أهدافها في بقية أنحاء الإمبراطورية العثمانية ، فقد احتفظت بقوة كبيرة في منطقة الخليج ، لكنها لم تحتفظ بأسطول بحري ، وكان هدفها حماية المناطق المحيطة " باسطنبول " وهي البلقان وشرق أوروبا ، أما بالنسبة للإقليم العربي في آسيا فكانت اهتماماتها موجهة إلى العراق وبلاد الشام بينما كانت الجزيرة العربية والخليج مناطق هامة للمحافظة على نفوذها في تلك المناطق من ناحية ومنطقة قلق للنفوذ البريطاني من ناحية ثانية .

وقد اعتمدت الدولة العثمانية بوجودها في منطقة الخليج على أسس تاريخية ترجع إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر ، حينما قام بعض القباطنة العثمانيين خلال صراعهم ضد البرتغاليين بمحاولة إقرار تلك السيادة[1] . فبعد الانتصارات العسكرية التي حققتها الدولة

العثمانية ضد الصفويين واحتلالها لمدينتي بغداد عام ١٥٣٤م ثم مدينة البصرة، حدثت تطورات هامة شهدتها منطقة الخليج العربي، إذ انتقلت المواجهة العثمانية البرتغالية إلى هذه المنطقة ، ومع ذلك فإن الجهود العثمانية لصد البرتغاليين لم تسفر عن نتائج إيجابية (٢)، فقد كانت اهتمامات الدولة العثمانية موجهة أيضاً إلى الحجاز حيث وضعت حامية في جدة إذ أن تواجدها معنوياً كان يهمها كثيراً أثناء صراعها مع البرتغاليين .

وكانت أهداف العثمانيين في منطقة الخليج تختلف عن أهداف بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول الأخرى ، فلم يكن للعثمانيين المصالح الاقتصادية والإستراتيجية التي كانت لتلك الدول ، وإنما كانت هناك صلات بين العثمانيين وبين سكان هذه المناطق ، هذه الصلات هي الإسلام والنظرة الإسلامية العامة التي كان يعتنقها الناس ، فكانت هناك فكرة الأمة الإسلامية الواحدة بغض النظر عن الشعارات السياسية التي كان بعض السياسيين يحاولون استغلال هذه الفكرة فيها لكنها كانت موجودة بالنسبة للحاكم والمحكوم(٣) .

وكان للانشقاق المذهبي بين القوتين الإسلاميتين - الدولة العثمانية والدولة الصفوية - وتفوق البرتغاليين في المجال البحري أثر كبير في إضعاف السيادة العثمانية في الخليج العربي وهذا ما أفسح المجال للإنجليز منذ بداية القرن السابع عشر للتغلغل تجارياً ثم سياسياً وعسكرياً في سواحل الخليج ، وتمكنوا من تدعيم سيطرتهم ونفوذهم خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فهزموا القواسم حلفاء السلفيين عامي ١٨٠٥ ، ١٨٠٩م واستطاع الجنرال الإنجليزي جرانت كير أن ينتصر على القواسم عام ١٨٢٠م وأن يفرض على زعماء الساحل العماني ـ الذي عرف منذئذ بـ " **الساحل المتهادن** " ـ أو الساحل المتصالح معاهدة السلام العامة في يناير ١٨٢٠م(٤) ثم راح النفوذ البريطاني يحكم قبضته تدريجاً على الخليج حين استطاع فرض معاهدة السلام البحري الدائم عام ١٨٥٣م(٥) ، وأصبحت أهداف بريطانيا في المنطقة ضرب القوى المحلية العربية وتشتيت شملها ، وضرب القوى الأخرى الواقعة على سواحل الخليج من فارسية

وعثمانية ، وقد طبقت بريطانيا نظام الحماية الذي من أهم مظاهره الإشراف على السياسة الخارجية للمنطقة الموضوعة تحت الحماية ، ولكن بريطانيا لم تشأ أن تسمي هذه الاتفاقيات صراحة بهذا الاسم بل وصفتها بأنها الاتفاقات التي تجعل العلاقات مقصورة على بريطانيا(٦) .

وعندما ظهرت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في نجد أتت بمفاهيم جديدة تشكل خطراً على فكرة الخلافة العثمانية ، ومما زاد الأمر إثارة أن السعوديين استطاعوا إدخال منطقة الأحساء التي تطل على الخليج العربي ضمن أقاليم دولتهم عام ١٧٩٥م(٧) ، مما أثار حفيظة الدولة العثمانية ، فحاولت استرجاعها من السعوديين أكثر من مرة ، ولكنها فشلت في ذلك . وفي عام ١٨١٨م لجأت الدولة العثمانية إلى عاملها في مصر " **محمد علي باشا** " الذي أرسل جيشاً بقيادة " **خورشيد باشا** " احتل الدرعية فالأحساء ، إلا أن قواته اضطرت إلى الانسحاب في يوليو ١٨١٩م تحت ضغط الدولة العثمانية . ثم شهدت المنطقة صراعاً عنيفاً بين القوى المحلية حتى عام ١٨٣٩م حين وصل قائد الحملة خورشيد باشا إلى شواطئ الخليج العربي. ومرة ثانية اضطرت قوات محمد علي باشا للانسحاب في أكتوبر ١٨٣٩م(٨) تحت ضغط قوتين ، الأولى بريطانيا التي رأت في الوجود المصري تهديداً لنفوذها في المنطقة ، والثانية الدولة العثمانية بنداءاتها المتكررة باسم العلاقات الدينية إثر الهزيمة التي ألحقتها جيوش محمد علي بالجيوش التركية في معركة " **نزيب** " وكانت الدولة العثمانية تشعر بأن وجود القوات المصرية في الأحساء يشكل خطراً جسيماً على وجودها في العراق ، وقد أجبر فعلاً محمد علي بالتخلي عن سوريا وعن توسعه في الجزيرة العربية(٩) .

وكان العثمانيون قد بدءوا يدركون أن مستقبل وجودهم في البلقان أصبح مشكوكاً فيه ، وأن الدول الأوروبية مصممة على إخراج الأتراك نهائياً من هناك ، لذلك أخذوا في تحويل اهتمامهم إلى الولايات الشرقية في البلاد العربية ، وبدأوا من جديد يفكرون في العودة إلى المنطقة ، بعد غفلة طويلة ، فأصدر الباب العالي فرماناً بإسناد ولاية "جدة" وتوابعها إلى الوالي " **علي رضا** " الذي لم يحاول تغيير الأوضاع المحلية(١٠) ، ثم أصدرت الدولة العثمانية فرماناً

سلطانياً عام ١٨٤٧م يسمح بتفتيش السفن التي يشتبه بأنها تعمل في القرصنة ، كما أمرت واليها في العراق بتنفيذ القرار في منطقة الخليج ، لكن بريطانيا أدركت أن هذا التصرف سيؤثر حتماً على مركزها السياسي في المنطقة ، لذلك قررت أن تنتزع من الدولة العثمانية حقها في التفتيش واستطاعت تنفيذ ذلك حتى في المناطق التي تقع تحت السيادة العثمانية[١١] واعتبرت بريطانيا أن النفوذ العثماني محدد فقط في الداخل دون الساحل ، وصرح " **هنيل** " المقيم البريطاني في الخليج في ذلك الوقت أن الهدف الحقيقي من تصرف الدولة العثمانية هو توطيد نفوذها على ساحل الخليج أكثر منه قمع ممارسي القرصنة[١٢] ، ويظهر هنا تراجع الدولة العثمانية عن اهتمامها بأمور بلدان الخليج في تلك الفترة فتركت لبريطانيا القيام بدور شرطي المرور في مياه الخليج العربي ، كما أنها تركت الباب مفتوحاً لتدخل الطامعين في شئون المنطقة أمثال بريطانيا وفارس[١٣] . ويمكن القول بأن التفكك السياسي على الساحل العربي للخليج قد ساعد على الإسراع في توطيد النفوذ السياسي البريطاني في المنطقة .

وبعد انسحاب القوات المصرية استطاعت الدولة السعودية أن تفرض سيطرتها على الخليج العربي ، إذ حقق الإمام " **فيصل بن تركي** " (١٨٤٣ – ١٨٦٦م) نجاحاً كبيرا في استعادة جميع الممتلكات التي فقدها السعوديون ومنها الأحساء ، واتخذ من الهفوف قاعدة للإغارة على بقية الإمارات العربية ، فهدد البحرين وأجبر شيوخها على دفع الزكاة ثم توجه إلى قطر ، وهنا وقفت بريطانيا إلى جانب شيوخ البحرين لمساعدتهم ضد " **الإمام فيصل** " الذي حاول جهده ضم البحرين نهائياً إلى حكمه ، وبدأ النزاع السعودي البريطاني مما اضطر فيصل إزاء ذلك أن يعقد صلحاً مع شيخ البحرين عام ١٨٥١م . وعندما عاد فيصل مرة ثانية لغزو الجزيرة منتهزاً فرصة الصراع الداخلي في البحرين عادت البحرية البريطانية لمعارضته ووجهت إنذاراً شديداً إلى قائد الجيش السعودي ، بل قامت فعلاً بضرب ميناء الدمام عام ١٨٥٩م ، ولما كان فيصل يعتبر نفسه في بعض المناسبات تابعاً للعثمانيين ، لذلك احتجت حكومة الآستانة على ضرب الأسطول البريطاني للدمام ، وتكرر الموقف مرة ثانية عندما قصفت السفن

البريطانية موانئ ساحل الأحساء بالمدفعية في نوفمبر ١٨٦١م[١٤] مما أثار السلطات العثمانية في العراق على أساس أن الدمام تابعة للأمير فيصل الذي تعتبره قائمقام نجد وتابعاً من أتباع الباب العالي ، فأرسل " **أحمد توفيق باشا** " والي بغداد رسالة إلى " **كمبل** " القنصل البريطاني في بغداد يحتج فيها على تدخل السلطات البريطانية في الممتلكات العثمانية[١٥] .

وقد أثار اهتمام العثمانيين بالخليج مخاوف الإنجليز فقاموا بقصف قلعة الدمام في فبراير ١٨٦٦م احتجاجاً على سياسة السلفيين في عمان[١٦] فلجأ الأمير السعودي " **عبد الله بن فيصل** " إلى والي العراق يطلب منه العون لصد الاعتداءات البريطانية على سواحل بلاده ، فأرسل والي العراق بدوره احتجاجاً إلى " **كمبل** " طلب إليه أن ينقل احتجاجه إلى حكومة الهند ، وأمره بعدم تكرار الاعتداء على الأراضي العثمانية[١٧] ، لكن بريطانيا رفضت الاحتجاج وادعت أنها تتعامل مع الأمراء السعوديين على أنهم أمراء مستقلون لا أتباعاً للدولة العثمانية . وقد حذر " **كمبل** " في رسالته إلى سفير بريطانيا في الآستانة من عزم الدولة العثمانية تنفيذ سياسة جديدة تهدف إلى تقوية الرابطة مع بعض الموانئ على الساحل الغربي للخليج . لكن هذا الموقف الجديد من بريطانيا يتناقض كلياً مع اعترافها السابق بأن الأمير السعودي تابع للدولة العثمانية ، فقد اعترف " **كمبل** " في رسالته إلى السفير البريطاني في الآستانة وإلى حاكم الهند بأنه لايستطيع إنكار أن الأمير السعودي تابع للدولة العثمانية وأن المنطقة الممتدة من القطيف إلى الدمام تابعة للأمير فيصل[١٨] .

وكانت بريطانيا قد كلفت المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل" **بيلي** " بزيارة الإمام فيصل عام ١٨٦٤م في محاولة للتباحث حول المصالح الخاصة بكل من الطرفين في منطقة الخليج ، وإقامة علاقات صداقة مع الحاكم السعودي ، خاصة وأن قوة " **الإمام فيصل** " قد بلغت الذروة ، فقد ذكر لـ " **بيلي** " أن أملاكه تضم أراضي جزيرة العرب من الكويت عبر القطيف ورأس الخيمة وعمان ورأس الحد ، وقد ذكر " **بيلي** " في تقريره إلى حكومة بومباي بأن الدولة السعودية تسيطر على ساحل الخليج الغربي وعلى ساحل خليج عمان وتتلقى الزكاة نقداً وعيناً من

رؤساء البحرين وأبو ظبي ودبي وأم القيوين وعجمان والشارقة ورأس الخيمة وسلطنة مسقط[١٩] . وقد توفى الإمام فيصل في ديسمبر ١٨٦٥م واستلم الأمير عبد الله الحكم مكانه ، وفي اعتقادي أن قصف الأسطول البريطاني للدمام عام ١٨٦٦م كان إنذاراً للسعوديين بأن بريطانيا تقف من سياستهم التوسعية في الخليج موقفاً معادياً ، وأنها على استعداد لتنفيذ معارضتها تلك بالقوة إذا لزم الأمر ، لذلك أسرع الأمير " **عبد الله** " لاسترضاء بريطانيا خاصة وأن والي بغداد " **نامق باشا** " لم يقدم المساعدة المطلوبة له للوقوف أمام اعتداءات الإنجليز ، بعد أن أكد له بأنه يعتبر سواحل بلاده جزءاً من الدولة العثمانية ، لذلك يعلن " **عبد الله** " عن رغبته في صداقة بريطانيا وتعهده باحترام مصالحها في المنطقة ، وتم توقيع معاهدة صداقة بين الطرفين في ٢١ أبريل ١٨٦٦م[٢٠] .

وبعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩م والتي تم بواسطتها إيجاد خط ملاحي مباشر بين القسطنطينية والبصرة فسهل ذلك اتصال الأسطول العثماني بقطعاته في الخليج العربي[٢١] ، ورأى السلطان العثماني مدى اهتمام الدول الأوروبية بدول المشرق العربي ، في الوقت الذي أعاد فيه العثمانيون بناء جيوشهم على أسس حديثة ، فأصبح الجيش العثماني جيشاً نظامياً مجهزاً بالأسلحة الحديثة ، واستطاع السلطان إخضاع معظم المقاطعات العثمانية التي خرجت عن ولائها للدولة ابتداءً من ١٨٦١م[٢٢] ، بالإضافة إلى أن السلطان العثماني كان يعتبر نفسه وارثاً للخلافة العربية الإسلامية ، وهذا يعني ملكيته لشبه الجزيرة العربية ، لذلك أخذ يضاعف من حامياته في الحجاز وقام بحملة على اليمن ، وعين " **مدحت باشا** " والياً على العراق وأخذ يبسط نفوذه إلى مناطق متعددة من شبه الجزيرة العربية[٢٣] .

ولابد هنا من القول بان حكومة بغداد العثمانية استمرت في اتباع سياستها السلبية المقصورة على الاحتجاجات الرسمية والمفاوضات مما أعطى لبريطانيا فرصة استغلال الظروف وتطبيق سياستها الرامية إلى استعمار ساحل عمان وتقسيمه إلى كيانات صغيرة هزيلة ، ويذكر " **جمال زكريا** " بأن الدولة العثمانية انصرفت عقب الأزمة المصرية إلى محاولة تقوية نفوذها داخل الجزيرة العربية بينما ظهر إغفالها

للساحل واضحاً ، كما يرجع تهاون الدولة العثمانية واعتمادها فقط على الاحتجاجات إلى المركز القوي الذي كانت تتمتع به إنجلترا في البلاط العثماني والذي تحصلت عليه نتيجة لما منحته للدولة العثمانية من قروض عقب حرب القرم(٢٤) . وهذا الموقف ترتب عليه استمرار التفكك السياسي على الساحل الغربي للخليج بالرغم من وجود قوة عثمانية كبيرة بعد ذلك تمثلت في حملة " **مدحت باشا** " .

كان تعيين " **مدحت باشا** " والياً على العراق حدثاً هاماً بالنسبة للعلاقات العثمانية البريطانية في الخليج ، وكان ينتمي إلى دعاة الإصلاح في الدولة العثمانية وعرف عنه محاولاته المتعددة لإصلاح نظام الدولة ودستورها ، وكان يمثل فريق المصلحين الذين يرون ضرورة تثبيت السلطة الفعلية في جميع المناطق التي تخضع للدولة إسمياً ، وإلى الاهتمام بالأقطار الآسيوية في الإمبراطورية ، لكي يعوضوا ما خسرته الدولة من مناطق واسعة في البلقان ، لذلك أخذ " **مدحت باشا** " على عاتقه منذ توليه ولاية بغداد مد سيطرة الدولة العثمانية على بلدان الخليج لتشمل الكويت وقطر والبحرين ، ولكي يحل النفوذ العثماني المباشر محل السعوديين في حكم الأحساء ونجد(٢٥) ومسقط والقبائل العربية في جنوب الجزيرة عموماً(٢٦) ، وكان يهدف أيضاً إلى منافسة النفوذ الإنجليزي في منطقة الخليج واضعاً في اعتباره مساندة سكان المنطقة له لأن معظمهم من المسلمين السنة ، فهم رعايا أصليين للخليفة العثماني(٢٧) . وقد وضع "**مدحت باشا**" في اعتباره أن يتولى العراق مسئولياته في الخليج العربي بأن يصبح قاعدة بحرية للسيطرة على مياه الخليج العربي الذي يتنافس عليه الفرس والإنجليز ، بينما كانت المشيخات العربية العديدة المطلة على الخليج لاتقوى على رد عادية الفرس والإنجليز ، ومن هنا أصبحت منطقة الخليج العربي منذ قيام حملة مدحت باشا من أكثر المناطق إثارة للجدل بين بريطانيا والعثمانيين باعتبار أنها تمثل المنطقة الفاصلة بين النفوذ البريطاني والعثماني(٢٨) .

وبعد وفاة الإمام " **فيصل بن تركي** " وقع خلاف كبير بين أبنائه الأربعة(٢٩) ، وقد أدى ذلك إلى إضعافهم جميعاً ، وكانت هذه فرصة ذهبية استفادت منها بريطانيا ، فبعد أن كانت الدولة السعودية قوة يحسب لها

حساب في السياسة العامة للخليج ، أصبحت نتيجة للحروب الأهلية بين " **عبد الله** " و " **سعود** " دولة ضعيفة لا أثر لها على مايجري في منطقة الخليج . ومضت بريطانيا في تطبيق سياستها في المنطقة وتحقيق أهدافها في السيطرة على ساحل الخليج من الكويت إلى مسقط[٣٠] . وقد استغل " **مدحت باشا** " هذا الصراع على السلطة وخاصة عندما استطاع " **سعود** " إقصاء أخيه عن عرش الرياض ، فراح " **عبد الله** " يستنجد بوالي بغداد الذي بدأ على الفور بالاستعداد لإرسال حملة عسكرية إلى الأحساء ونجد ، هدفها الظاهري إعادة " **عبد الله** " للحكم ، فقد اعتبرت الدولة العثمانية " **عبد الله** " حاكماً شرعياً معيناً من قبلها كقائمقام لنجد وتوابعها . والمعروف أن " **فيصل بن تركي** " كان يعتبر قائمقاماً عثمانياً ، وأن السلطات البريطانية اعترفت بذلك كما سبق وأن أشرنا إليه ، وهكذا يمكن اعتبار ابنه " **عبد الله** " وريثه في الحكم تابعاً للدولة العثمانية من وجهة النظر العثمانية .

وأما عن تعيين " **عبد الله** " كقائمقام عثماني بفرمان رسمي ، فالمرجح أنه تم بعد مراسلته لمدحت باشا ، وذلك لكي يبرر مدحت تدخله في نجد والأحساء لإنقاذ عامل من عمال الدولة استنجد به[٣١] .

وترجع عوامل التغيير في السياسة العثمانية في منطقة الخليج العربي إلى عوامل أساسية متعددة ، منها زوال أقوى شخصية سعودية ، وهي " **فيصل بن تركي** "[٣٢] ونشوب الخلاف بين أبنائه وتصدع الدولة السعودية الثانية مما شجع العثمانيين على استغلال فرصة ملء الفراغ ، لاسيما وأن بريطانيا أخذت تتبوأ مكانة مرموقة في أرجاء الخليج العربي ، وأخذت تعمل على مد نفوذها إلى داخل شبه الجزيرة العربية[٣٣] . وهذا سيترك أثراً سيئاً على السلطة العثمانية في العراق والحجاز ، ورأت الدولة العثمانية أن تسيطر على الممتلكات السعودية خوفاً من أن تعود الدولة السعودية إلى سابق قوتها وما قد يتبع ذلك من تهديد السعوديين للمقاطعات العثمانية في الحجاز والشام والعراق ، وإخضاع سكان الخليج لدعوتهم ، وكان " **مدحت باشا** " من دعاة الإصلاح ، ويريد تثبيت سلطة الباب العالي في الولايات العربية لأن ذلك يمثل عنصر استقرار لعظمة الدولة بحكم الرابطة

الدينية[٣٤] ، كما أن بسط نفوذ الدولة على المقاطعات التابعة لها سيعوضها عن الخسائر الإقليمية التي توالت عليها في البلقان ، هذا بالإضافة إلى وجود جيش عثماني جديد مجهز بالأسلحة الحديثة.

وعلمت السلطات البريطانية بأن هناك استعدادات عسكرية عثمانية للقيام بعمليات بحرية في الخليج ، وكان " **مدحت باشا** " يستعد لحملته بتكتم شديد ، وحذر أتباعه من وصول المعلومات إلى الإنجليز ، إلا أن السلطات البريطانية أخذت تستقصي الأخبار ، واقتنعت بأن لا أساس من الصحة لتلك الإشاعات ، وأكد هذه المعلومات كل من السفير البريطاني في القسطنطينية " **إليوت** " والقنصل البريطاني في بغداد " **هربرت** " وذكر السفير البريطاني في رسالته إلى وزير الخارجية بتاريخ ٢٢ فبراير ١٨٧١م بأنه تأكد من الصدر الأعظم " **عالي باشا** " بأنه لا نية للدولة العثمانية في احتلال أي مركز في الخليج أو القيام بأي حملة عسكرية ، وأن وجود سفينتين حربيتين عثمانيتين في مياه الخليج ليس له أي علاقة بما يشاع عن وجود حملة تعد في بغداد لإرسالها إلى الأحساء[٣٥] . ولكن السلطات البريطانية تبين لها في أواخر شهر مارس ١٨٧١م أن الباب العالي يعتزم إرسال حملة إلى نجد لإعادة الأمير " **عبد الله** " إلى الحكم ، فأرسل إليوت برقية في أول أبريل ١٨٧١م إلى الخارجية البريطانية يعلمها فيها بأن الباب العالي قد وافق على طلب المساعدة التي كان قد تقدم بها " **عبد الله بن فيصل** " ، وفي نفس البرقية أكد " **إليوت** " أنه قد حصل من الصدر الأعظم على تأكيدات جديدة بأن العثمانيين لا ينوون القيام بعمليات بحرية في الخليج ، وأن الحملة ستنتقل إلى وجهتها بحرا لصعوبة إرسالها عبر الصحراء[٣٦] .

وبمجرد أن عرفت أخبار الاستعدادات للحملة العثمانية ، انتاب السلطات البريطانية قلق شديد ، وأصبحت مهمتها أن تعرف قبل كل شيء ، ما إذا كانت الحملة ستتعرض لاحتلال البحرين ومسقط وساحل الجزيرة العربية ، خاصة وأن " مدحت باشا " كان قد صرح في مارس عام ١٨٧٠ تصريحا خطيرا اعتبر فيه البحرين تابعة لنجد ، وأنها بدورها تابعة للدولة العثمانية[٣٧] ، ويذكر " **كيلي** " أن مدحت باشا نشر في يونيو ١٨٧٠ في العدد الأخير من مجلة بغداد

الرسمية أن البحرين وثماني مدن في ساحل عمان تعتبر جزءاً من إقليم نجد[٣٨] . ويظهر هنا أن " **مدحت باشا** " أراد أن يلفت انتباه الباب العالي إلى ما يجري في نجد وما وراءها من الأقاليم وأنه يرغب في بسط نفوذه الحقيقي على البحرين ومسقط والقبائل الأخرى تحت ستار المساعدة التي سيقدمها إلى الأمير " **عبد الله** " ، الذي يعتبره قائمقاماً لنجد ، ويبدو أن الحكومة العثمانية لم تتحمس رغم ذلك لإرسال حملة كبيرة على نطاق واسع خشية أن تتحمل أعباء مالية بدون عائد ، لذلك أوضح مدحت باشا للباب العالى بأنه من الممكن تحصيل موارد كبيرة من الأحساء والقطيف تقدر وحدها بمائتي ألف ريال[٣٩] .

لقد أبرق القنصل البريطاني في بغداد إلى " **إليوت** " في ٢٢ أبريل محذراً من أنه لو نجحت حملة نجد فإنها ستسير لاحتلال البحرين ومسقط وساحل الجزيرة العربية[٤٠] ، إلا أن اتصال إليوت بالمسئولين العثمانيين وبخاصة الباب العالي أكد له أن الحملة لن تتعرض لتلك البلدان[٤١] .

وكان مدحت باشا مقتنعاً بأن السلطات البريطانية تقدم المساعدات لسعود بن فيصل لتثبيت أقدامه في نجد والأحساء ، حتى تسيطر سيطرة تامة على مياه الخليج خاصة بعد أن عقدت مع قطر معاهدة ١٨٦٨م ، وبذلك أصبحت مسقط وقطر والبحرين ترتبط بمعاهدات مع إنجلترا ، ولم يبق أمامها إلا سواحل الأحساء وإمارة الكويت ، لكن الباب العالي لم يكن متأكداً من أن بريطانيا تقدم الأسلحة لسعود وليس لديه الأدلة الملموسة على ذلك ، ولهذا وحتى لا يعطي مدحت باشا الفرصة للإنجليز أعلن صراحة في أبريل ١٨٧١ أن حملته ستزحف لتثبيت " **عبد الله** " وإنهاء أعمال " **سعود** " الحربية[٤٢] . وفي ظني أن مدحت باشا كان يفكر بأنه سيجدها فرصة مناسبة في المستقبل لتوسيع نفوذ بلاده في الخليج عن طريق تثبيت سلطته في الأحساء أولاً ، فقد كان ينكر استقلال تلك الإمارات ويعتبر بلدان الخليج عثمانية وليس لبريطانيا الحق في السيطرة عليها . أما " **عالي باشا** " الصدر الأعظم فقد أكد " **لبيساني** " السكرتير الأول لسفارة الإنجليز في العاصمة العثمانية في ١٧ مايو ١٨٧١ أن " **عبد الله** " يحكم نجداً بصفته موظفاً عثمانياً (**قائمقام**) وبناءً على فرمان سلطاني ، وأن هدف

الحملة هو مصالحة الأخوين " **عبد الله وسعود** "[43] وحتى يطمئن الإنجليز أوضح بأنه ليست هناك نوايا لمد السيطرة العثمانية على البحرين ومسقط ، وقد تعمد الصدر الأعظم أن يحذف اسم قطر من بين الأقطار التي تنوي الحملة تجنبها ، وذلك على أساس أن قطر أكثر ارتباطاً بالمجموعة الداخلية التي تشمل نجد والأحساء[44].

ومما لاشك فيه أن السلطات البريطانية كانت تعمل جاهدة على فرض سيطرتها على شيوخ وحكام المنطقة ، منطلقة من مقولة أنها السلطة الوحيدة التي تستطيع حماية مصالحهم وبخاصة تجارتهم وموسم الغوص . ومن جهة أخرى كانت تهدد هؤلاء الحكام وتخيفهم من الحكم العثماني الذي يتسم بالطابع العسكري ، وأنه حكم مستبد يثقل كاهلهم بالضرائب الباهظة ، لذلك وجد " **لويس بلي** " المقيم البريطاني في الخليج أن الفرصة سانحة لكي يطمئن شيوخ الإمارات المتعاهدة مع بريطانيا بأن الحملة العثمانية لن تتعرض لهم وراح يطلب منهم تزويده بالعقود المبرمة بينهم وبين بريطانيا لكي يطلع عليها الباب العالي ومدحت باشا . ثم توجه " **بلي** " إلى البحرين وأكد لشيخها أن بريطانيا ستفي بتعهداتها بحماية البحرين مادام شيخها مراعياً لمواد معاهدة ١٨٦١م[45] ، وكانت البحرين هي محور النفوذ البريطاني في المنطقة[46] . ولما علم " **مدحت باشا** " بالموقف البريطاني وبأن السلطات البريطانية أعلنت على لسان " **بلي** " بأنها مسئولة عن حماية مصالح صيادي اللؤلؤ ، قال أن البحرين ليست الآن موضع بحث ، وإنما الهدف هو استخلاص الأحساء من " **سعود** " وإعادتها إلى " **عبد الله** " ، وأضاف بأن من أهداف حملته أيضاً وواجباتها حماية مصالح صيادي اللؤلؤ[47] محاولا التقرب من شيوخ وحكام المنطقة .

بالغ الإنجليز ـ **كعادتهم** ـ في تصوير أطماع الدول الأخرى بالخليج حتى ولو كان الأمر متعلقا بدولة غير أجنبية عن المنطقة كالدولة العثمانية ، إذ أن كثيراً من عرب الخليج كانوا يسلمون لها بزعامة العالم الإسلامي ، وكان اهتمام السلطات البريطانية موجهاً إلى ضرورة امتناع رؤساء القبائل في الخليج والذين تشملهم معاهدة السلم البحري من الإنضمام إلى أي من الفريقين المتصارعين ، وكان الصدر الأعظم قد أعلن أن الباب العالي لا يعترف بمعاهدة

السلم البحري وهو غير ملزم بما جاء فيها ، ويمكن أن لا يتردد في قبول خدمات أي حاكم من حكام الخليج يعرض نفسه على العثمانيين[٤٨] ، ولذلك أسرعت وزارة الخارجية البريطانية بتزويد سفيرها في الآستانة بنسخ من الاتفاقيات المبرمة مع شيوخ الخليج بتعهداتهم[٤٩] ويظهر هنا أن السلطات البريطانية كانت قلقة جداً من محاولات الدولة العثمانية تجديد نشاطها ومد نفوذها إلى أطراف إمبراطوريتها ، وكانت قطر مثالاً واضحاً وخطراً ماثلاً أمام السلطات البريطانية فالشيخ محمد آل ثاني حاكم قطر كان يميل إلى التعاون مع الإنجليز بينما ابنه قاسم المرشح لاستلام الحكم والمشارك فعلا مع والده في إدارة السلطة كان يرحب بقدوم العثمانيين [٥٠] .

غادرت الحملة العثمانية البصرة في ٢٠ أبريل ١٨٧١ تحت قيادة " **نافذ باشا** " ، وتكونت من خمسة طوابير من الفرسان ورجال المدفعية ، وقد سعى " **مدحت باشا** " إلى استخدام القوى المطلة على الخليج في حملته فاصطحب معه شيخ المنتفق " **ناصر السعدون** "[٥١] وفرسانه الذين يقدرون بألف فارس ، واتجهت الحملة إلى الكويت فقدم لها شيخ الكويت " **عبد الله الصباح** " مساعدات سخية ، وقد رافق الحملة الشيخ " **مبارك بن الصباح** " شقيق الحاكم على رأس قوات كبيرة ، كما قدمت الكويت أكثر من ثمانين سفينة من سفنها لاستخدامها في الحملة[٥٢] لنقل المعدات إلى ساحل الأحساء ، بالإضافة إلى سفن الأسطول العثماني المسلحة بالمدافع الكبيرة . وقد وصلت الحملة إلى أول محطة إنزال وهي "**رأس تنورة** " في ١ مايو ١٨٧١ ، ثم بدأت القوات تتقدم نحو القطيف لكي تلتقي مع القوات الزاحفة برًا وكان " **مدحت باشا** " قد طمأن سكان المنطقة وحدد لهم أهداف الحملة مما دفع السكان إلى التعاون مع قيادة الحملة بعد أن كانوا يضمرون العداوة لهم[٥٣] . وقد حاول قائد الحملة إقناع القائد السعودي " **السديري** " بالاستسلام لكنه فشل في محاولته فحاصره في القلعة ، فانسحب القائد السعودي وترك المدينة تستسلم للقوات العثمانية وتم رفع العلم العثماني عليها وأطلق عليها اسم لواء نجد[٥٤] .

وبعد ذلك بدأت المدن السعودية تسقط الواحدة تلو الأخرى فاستولى العثمانيون على قلعة " **عنك** " ثم

الدمام[٥٥] ، وأخذت القوات العثمانية تركز وجودها على الساحل قبل أن يتجهوا إلى الداخل (**الهفوف والرياض**) ، حتى يحافظوا على خطوط مواصلاتهم ومؤنهم . وهناك آراء متعددة حول الأسباب التي أدت إلى سرعة تقدم القوات العثمانية منها أن " **سعود** " اعتمد على أعوانه[٥٦] . والرأي الثاني يقول : بأن عدم رسوخ الدعوة السلفية بين أهالي الأحساء كان من العوامل التي أضعفت مقاومتهم للعثمانيين ، وتذهب المصادر العثمانية إلى القول بأن بعض قبائل نجد قد رحبت بقدوم الحملة العثمانية لأن ذلك يساعد على الاستقرار ، وينهي المنازعات الداخلية[٥٧] ، لذلك يمكن القول بأن تعاطف بني خالد وهم سكان الواحات وإعلانهم الانضمام للسلطات العثمانية[٥٨] ساعد على سرعة تقدم الحملة هذا بالإضافة إلى خوف السكان من التهديد الموجه إليهم من قائد القوات العثمانية الذي توعد كل من يقف في وجه القوات الغازية بالموت والدمار . كما وعدهم بحسن معاملتهم في حالة تعاونهم معه[٥٩] فسقطت الهفوف عاصمة الإقليم في ١٩ ربيع الآخر ١٢٨٨هـ .

ويظهر أن " **سعود** " كان يهدف من انسحابه إلى استدراج القوات العثمانية إلى داخل البلاد حيث الصحراء ، وندرة الماء ، وقطاع الطرق ، وإلى إبعادهم عن مراكز تموينهم على الساحل ، وحرمانهم من مساعدة مدافع قطعهم الحربية المرابطة في مياه الخليج[٦٠] ، وبهذا يستطيع القضاء على القوات المتقدمة بالتعاون مع أتباعه من البدو ، وإلا لماذا استسلمت القوات السعودية في الدمام بهذه السهولة رغم وجود ذخائرها وتحصيناتها المنيعة ؟

وكان الإنجليز يرقبون هذه الأحداث عن كثب ، وهم يتوقعون أن تواجه القوات العثمانية مصاعب جمة في الاستقرار داخل شبه الجزيرة سواء بسبب قسوة المناخ وصعوبات التموين أو تقلب القبائل ، ولذلك انتظروا ما تتمخض عنه من نتائج ، أما مدحت باشا ، فكان ينكر دائماً استقلال الإمارات المطلة على الخليج ويعتبر بلدان الخليج عثمانية ليس لبريطانيا الحق في السيطرة عليها ، ولكي يمهد " **مدحت باشا** " لتوسيع حملته أعلن

في جريدة الزوراء الرسمية ـ **وكانت تصدر باللغتين التركية والعربية** ـ أن سواحل الخليج تخضع للسيادة العثمانية(٦١) ، ثم أضاف أنه لا يوجد في نجد قبائل مستقلة وأن هناك ثمانية بلدان تابعة لنجد منها الشارقة ، دبي، قطر والبحرين(٦٢) ، ولذلك احتجت السلطات البريطانية على ذلك الإعلان، وطلب حاكم الهند من " **هربرت** " إبلاغ " **مدحت باشا** " أن معالجة هذه القضايا يجب أن تسوى بين الباب العالي ووزارة الخارجية البريطانية(٦٣) . ولكن " **مدحت باشا** " لم يهتم بالأمر ، وبدأ بتوسيع عملياته إلى الجنوب والشرق حتى وصلوا إلى قطر لحماية طرق مواصلاتهم وخوفاً من عمليات البدو الذين كانوا يغيرون على قوافل التموين براً وقد ساعد العثمانيين في السيطرة على قطر شيخ الكويت " **عبد الله الصباح** " الذي استطاع إقناع شيخ قطر " قاسم بن ثاني " بإعلان تبعيتهم للباب العالي ، وكان الفريق " **نافذ باشا** " قائد الحملة قد كلف الشيخ " **عبد الله الصباح** " بمهمة رسمية إلى قطر حاملاً فرمانات وأعلاماً عثمانية(٦٤). ولاشك أن تقدم القوات العثمانية نحو قطر كان سيخلق نوعاً من الصراع مع بريطانيا لأنها تعتبر ذلك تهديداً لنفوذها في بلدان الخليج . لذلك احتجت بريطانيا على ذلك العمل وأبلغت حاكم قطر بالتعهدات البريطانية وبخاصة معاهدة ١٨٦٨ ، وأكدت له بأنها تحمي استقلال الحكام العرب المرتبطين معها بمعاهدات ، والمعروف أن قطر كانت آخر إمارة عربية توقع التعهدات الخاصة باحترام الهدنة بموجب اتفاقية عقدت عام ١٨٦٨(٦٥)، فارتباطها مع بريطانيا حديث جداً ويختلف عن نوع ارتباط البحرين اختلافاً كبيراً ، بالإضافة إلى أن القطريين كانوا يعانون من استغلال الهنود لهم في تجارة اللؤلؤ وهؤلاء كانوا يتمتعون بالرعاية البريطانية ، لذلك اعتبروا الوجود العثماني سنداً لهم في السيطرة على هذه التجارة ، من جهة أخرى كانت التداخلات الإنجليزية في شئون الحكم والإدارة في البحرين وتدميرها للسفن البحرينية الكبرى لترسيخ احتكاراتها التجارية في المنطقة مثلا واضحاً للجشع والاستغلال البريطاني(٦٦) ، فضلاً عن ذلك فإن نظرة الشيخ " **قاسم** " إلى دولة الخلافة ممتزجة بفكرة التضامن الإسلامي(٦٧) ، ولذلك لم يكن للتبليغ البريطاني أثر

يذكر . وقد رفع العلم العثماني على الدوحة ووافق الشيخ " **قاسم بن ثاني** " على إعلان التبعية للدولة العثمانية ، وكانت خطته تأكيد استقلال دولة قطر عن البلدان المجاورة وقبوله الحماية العثمانية .

وقد عين " **مدحت باشا** " " **الشيخ قاسم** " قائمقاماً لقطر ، وأجرى له راتباً شهرياً على أن يعاونه موظف في إدارة شئون القضاء عينه له . والحقيقة أن الدور الذي لعبه في الاقتراب من العثمانيين كان فيه مجازفة كبيرة ، لأن الموقع كان متقدماً جداً ، ذلك أن قطر كانت تقع على حافة المنطقة التي يلتقي فيها النفوذ البريطاني بالعثماني على الساحل الغربي للخليج ، وكان ذلك بمثابة أول احتكاك بين الإنجليز والعثمانيين ، فالأولون يساندون شيخ البحرين والآخرون يساندون حاكم قطر. وهنا بدأت الاتصالات البريطانية بين " **هربرت** " و " **مدحت باشا** " وقد أوضح الأخير بأن تأكيدات الباب العالي للبريطانيين لم تشمل قطر ، ولامانع من أن تتقدم إليها القوات العثمانية[٦٨] ، بل أضاف " **مدحت باشا** " أيضاً أن البحرين كانت تدفع الزكاة للسلفيين ولذلك فهي من توابع نجد ، وهو هنا يلمح إلى أن أهداف الحملة ضم البحرين إلى منطقة نفوذها[٦٩] ، وذلك ليتخذ منها قاعدة عسكرية لوقف عمليات " **سعود** " حاكم الرياض الذي أخذ يهدد العثمانيين في الأحساء .

كان الإنجليز يرجون أن يقف الزحف العثماني عند الأحساء ، وكانوا يخشون من توسع العثمانيين في جميع بلدان الخليج فيسيطرون بذلك على سواحل الخليج العربي ويصلونها بسواحل البحر الأحمر ، ويكونون بذلك قد أحكموا الحصار على شبه الجزيرة العربية . وزاد من خوف الإنجليز التصريح الذي أدلى به " **عارف بك** " قائد الأسطول العثماني في عدن بتاريخ ٢٧ أغسطس حين ذكر بأن السلطات العثمانية سترسل عشر سفن أخرى لتعزيز وجودها في مياه الخليج ، وقد أثار ذلك حاكم الهند الذي أبدى شديد أسفه للسياسة التي تنتهجها الدولة العثمانية التي تدين في بناء أسطولها وإعادة تقوية جيوشها للدولة البريطانية ، وأكد أن وجود الأسطول العثماني يشكل تحدياً للنفوذ البحري البريطاني في مياه الخليج[٧٠] ، أما " **مدحت باشا**" فتأكيداً لإجراءاته في قطر أرسل قوة عثمانية يصحبها " **عبد**

الله الصباح " شيخ الكويت على الباخرة العثمانية " **أشور** " لزيارة الدوحة .

والملاحظ أن إجراءات " **مدحت باشا** " قد أكدت علاقة الدولة العثمانية بكل من الكويت والأحساء وقطر ، عدا البحرين وإمارات الساحل العثماني التي لم يستطع فرض السيطرة عليها .

ويبدو أن " **مدحت باشا** " كان مدفوعاً بحملته أكثر مما كان يريد منه الباب العالي ، وكانت بريطانيا ترى أن نظرته تمتد لتشمل كلاً من قطر والبحرين وبلدان الساحل المهادن وحتى مسقط ذاتها(٧١) ، وأبدت تخوفها من أن يسبب ذلك التدخل تغييراً في أوضاع الإمارات المستقلة وتعكيراً للسلام في مياه الخليج ، مع أنها لا تعترض على التدخل العثماني لإنهاء النزاع بين الأخوين ، " **سعود وعبد الله** " لأنها تعتبر نجداً من الإمبراطورية العثمانية ، ومع أن السلطات العثمانية أكدت عدم رغبتها في السيطرة على أي إمارة لها علاقات مع بريطانيا(٧٢) ، إلا أن حكومة الهند راحت تهدد بزيادة أسطولها في الخليج مما سيبعث الطمأنينة في نفوس القبائل العربية المتعاهدة معهم ويشجعهم على مقاومة توسع العثمانيين وبخاصة شيخ البحرين الذي أبدى خشيته من التوسع العثماني لأنه كان يعتبر نفسه من المعسكر المعادي للعثمانيين لما قدمه من مساعدات لسعود ضد شقيقه عبد **الله** ، بل أخبر " **الشيخ عيسى بن علي** " حاكم البحرين السلطات البريطانية أنه يرغب في الوقوف على الحياد من الصراع العثماني السعودي ، خاصة وأنه يرى أمامه سقوط قطر تحت السيطرة العثمانية دون أن تستطيع السلطات البريطانية التدخل لإنقاذها ، بل يرى بنفسه أن الدولة العثمانية أرسلت سفينتين إلى الخليج لحماية قطر .

وبعد احتلال " **مدحت باشا** " لقطر أخذ يضايق السلطات البريطانية عن طريق توسيع سلطاته في المنطقة ، فأخذ حليفه " **قاسم بن ثاني** " يرسل مندوبين يحملون أعلام الدولة العثمانية إلى شيخ القبيسات ليرفعها على منطقة العديد التي كانت تتبع شيخ أبو ظبي الذي انتهج منذ البداية سياسة ترمي إلى مساعدة " **سعود** " نكاية في " **عبد الله**" الذي كان يحاول استعادة البريمي من سيطرة شيخ أبو ظبي عليها(٧٣) ، من جهة ثانية كان " **يوسف أفندي** "

المساعد العثماني لقائد الحملة قد بعث برسائل إلى شيوخ أبو ظبي والشارقة ودبي ، وأعرب لهم عن اهتمامه بتلك المناطق ، واقترح عليهم أن يعززوا ارتباطهم بالدولة العثمانية عن طريق اتصالهم بالقائد العثماني في الدوحة . وهنا شعرت بريطانيا بالخطر المحدق بها (٧٤) .

والقبيسات فرع من قبيلة " **بني ياس** " التي تشكل العمود الفقري لإمارة أبو ظبى(٧٥) ، وقد نزلوا منطقة " **العديد** " بعد انفصالهم عن بني عمومتهم عام ١٨٣٥م ، وكانت الخلافات تسري بين أبناء العمومة بطريقة أو بأخرى ، واستمر "**القبيسات**" يتركون " **العديد** " ويرجعون إليها ، فقد سكنوا المنطقة عام ١٨٤٩م ، ثم تجدد الخلاف فتركوها ، ثم رجعوا إليها عام ١٨٨٩م، وما كان ذلك لينشأ عنه مشكلة أو خطر لولا تواجد العثمانيين في قطر اعتباراً من ١٨٧١م ، مما وضع القضية في منظور نزاع دولي بين العثمانيين والإنجليز(٧٦) .

ومن المشاكل الهامة التي أضعفت موقف العثمانيين في الخليج وشغلتهم عن تحقيق الهدف الرئيسي للخلافة الإسلامية ، وهو تحرير المنطقة من الاستعمار ـ **هذا الشعار الذي تبنته منذ تصديها للاستعمار البرتغالي** ـ هي مشكلة الخلافات السعودية على الحكم وتدخل العثمانيين كطرف فيها ، فمنذ وصول " **مدحت باشا** " إلي الأحساء تحول النزاع في المنطقة إلى تنافس بين العثمانيين والسعوديين ، حتى أن الأمير " **عبد الله** " أراد التعاون مع العثمانيين. ولكنه اكتشف أن " مدحت باشا " أخذ يتدخل في شئون نجد الداخلية ، ويدبر إبقاء البلاد تحت السلطة المباشرة للعثمانيين ، ولذلك دبر أمر ذهابه إلى الرياض(٧٧) ، وندم على استنجاده بالعثمانيين لأن ذلك أضاع هيبته لدى السلفيين المتمسكين بمبادئ الإصلاح الديني . وأغلب الظن أن " **عبد الله** " حاول الرجوع إلى الرياض مستغلاً إبعاد الشعب لأخيه " **سعود** " عن الحكم ، ومع ذلك أصدر " **مدحت باشا** " قراراً بتعيين " **عبد الله** " قائمقاماً في منطقة الرياض فقط وهذا يعني أن القائد العثماني سلخ الأحساء عن منطقة الرياض ، لذلك رفض " **عبد الله** " وأصر أن تعود إليه جميع المتلكات ، وأن يبقى إماماً للمسلمين لا تابعاً مجرداً من السلطة وهنا اتخذ

" **مدحت باشا** " من هذا الموقف ذريعة لتحقيق هدفه وهو إعادة الأحساء إلى السيادة العثمانية المباشرة(٧٨) ، وفي اعتقادي أن هذا التصرف كان من سلبيات الحملة العثمانية لأن العداء استحكم بين السعوديين والعثمانيين مما أعطى فرصة ذهبية لبريطانيا لتحقيق أطماعها . ثم أصدر القائد العثماني تشكيلاً إدارياً جديداً للإقليم وأوضح تشكيل حكومة الأحساء في العهد العثماني فذكر أنها تنقسم إلى ثلاثة أقضية ، ويقيم الحاكم - ويطلق عليه " **الباشا المتصرف** " - في العاصمة الهفوف ، بينما يقيم قائمقامان عنه في كل من قطر والقطيف(٧٩) .

وكان من النتائج السلبية للسياسة العثمانية في الخليج وتشجيعها للخلافات بين السعوديين أنفسهم أن لجأ " **سعود** " أيضاً إلى المقيم البريطاني في الخليج يطلب منه العون والمساعدة للتدخل لدى السلطات العثمانية للإفراج عن أخيه(٨٠) ووكيله ، وعلى الرغم من إحجام السلطات البريطانية عن تقديم المساعدة خوفاً من أن تدع للعثمانيين الفرصة للتدخل في مناطق نفوذها(٨١) . فإنها وجدت الفرصة مناسبة وسانحة لها للتدخل بين الأخوين " **عبد الله** وسعود " ، فكانت تحبذ الصلح بينهما ، ليس لخدمة الطرفين ولا لمصلحة السعوديين في المنطقة ، ولكن حتى تضمن أن يعمل الأخوان معاً من أجل إضعاف قبضة العثمانيين على الأحساء ، التي أصبحت قاعدة عثمانية تهدد النفوذ البريطاني في المنطقة ، وهذا يدل على فشل السياسة العثمانية وعلى النتائج السلبية التي ترتبت على الحملة العثمانية على شرقي الجزيرة العربية ، وقد أدرك الأمير " **عبد الله** " بعد أن تعاون مع أخيه " **عبد الرحمن** " في استرجاع الرياض عام ١٨٧٥م وطرد أبناء " **سعود** " منها وتمت مبايعته بالإمامة(٨٢) ، أن نجد قد أصبحت إمارة مغلقة ولابد من مواصلة الكفاح ضد العثمانيين في الأحساء لكي يجد لإمارته منفذاً على الخليج ، واستمرت هذه الفكرة في أذهان حكام نجد وحاولوا تنفيذها مرات عديدة لكنها كانت تفشل دائماً ، إلى أن جاء الأمير عبد العزيز فطرد العثمانيين من الأحساء عام ١٩١٣(٨٣) وحقق حلم الأمراء السعوديين الذي لم يتحقق خلال أربعين عاماً .

لقد ترتب على الوجود العثماني في الأراضي السعودية ، إضعاف قوة السعوديين في المنطقة ، وبدلاً من أن

تتعاون السلطات العثمانية مع السعوديين ضد عدو مشترك يهدد الجميع في منطقة الخليج وهو بريطانيا، أخذت السلطة العثمانية تفتش عن قوى أخرى في الأراضي السعودية تتعاون معها وتنافس بهم السعوديين فقد عينت في مارس ١٨٧٤م " **براك بن عريعر**"[٨٤] أحد شيوخ بني خالد متصرفاً على إقليم الأحساء ، وهنا تحرك السعوديون فقام " **عبد الرحمن بن سعود** " بالزحف على مدينة الهفوف حيث حاصر المتصرف وكاد أن ينجح ، لولا أن سارعت الدولة العثمانية بإرسال مساعدتها بقيادة " **ناصر السعدون** " متصرف البصرة الذي استطاع أن يلحق الهزيمة بجيش عبد الرحمن . واستمرت الدولة العثمانية في سياستها السلبية لضرب القبائل بعضها ببعض ، فلما أدركت أن مقاومة السعوديين قد طالت وكلفتها الكثير من التضحيات والنفقات ، أخذت تشجع العداء بين آل رشيد في حائل وبين آل سعود في الرياض واستطاع " **محمد بن الرشيد** " شيخ جبل شمر الاستيلاء على الرياض عام ١٨٧٧م حتى عام ١٩٠٢م حينما قدر لـ " **عبد العزيز بن عبد الرحمن** " استعادتها من آل رشيد[٨٥] .

لم يستطع الحكم العثماني إقرار السلم في المناطق التي يسيطر عليها ، فقد كانت طرق القوافل غير آمنة ، وأخذت القبائل تتمرد على قوانين الدولة ، وانتشر السلب والنهب وبدأت القرصنة البحرية بالسطو على السفن ، وكثر النزاع حول مصائد اللؤلؤ ، وفشلت الدولة في وضع قوانين تقضي على ثورات القبائل ، وعجزوا تماماً عن إشاعة الأمن فلم تكن سيطرتهم تتعدي أسوار المدن التي يقيمون بها ، بل كانوا يتعرضون هم أنفسهم لغارات من قبل رجال القبائل[٨٦] وهذا ما دفع " لوريمر" واصفاً الحكم العثماني بالأحساء بقوله : " **إن ضم الإقليم وحده إلى دولة مثل تركيا كان في حد ذاته شراً يزيد من صعوبة ضمان الدستور البحري في مياه الخليج**"[٨٧].
كل ذلك حدث لأن الدولة العثمانية فشلت في السيطرة على المنطقة ، وسحبت كثيراً من قواتها من الإقليم وفقدت الدولة العثمانية هيبتها حتى عند أصدقائها مثل حاكم قطر الذي أبى على العثمانيين تدخلهم المباشر في شئون القضاء الداخلية ، فقدم استقالته أولاً ثم أعلن الحرب ضدهم[٨٨] .

ويمكن القول أن الطابع العثماني في

المناطق التي احتلها العثمانيون ظل طابعاً عسكرياً ، وكانت نفقات الحاميات تستأثر بالقسم الأكبر من ميزانية الإقليم التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على الضرائب التي كانت تجمع من الأهالي(٨٩) فكان حكماً استبدادياً متسماً بالظلم والجور وبالرغم من أن " **مدحت باشا** " حاول علاج تلك المشكلة فقرر استثناء القبائل من دفع الضرائب فيما عدا ضريبة العشور، فإن الموظفين العثمانيين قد تمادوا في تعسفهم ، وهذا ما جعل السلطات البريطانية تستغل مثل هذه الظروف فتصور الأوضاع بشكل سيء جداً ، وتتخذ منها حجة ضد الدولة العثمانية وسياستها الفاشلة ، بل وتضخم ذلك أمام القوى السياسية الأخرى في المنطقة لتجعلها تنقلب على الدولة العثمانية ، وهذا ما نلمسه في التقارير البريطانية ، ولو أضفنا إلى ذلك تعدد حكام الدولة العثمانية وقصر مدة كل منهم في المنطقة ، بحيث أصبح من الصعب على أي منهم أن يتبنى سياسة إصلاحية ، كل ذلك يؤكد سوء إدارة الدولة العثمانية بعد احتلالها لشواطئ شرقي الجزيرة العربية(٩٠) ، ولا أجدني في هذا الموقف أوافق الدكتور جمال زكريا قاسم على تبريره للإدارة العثمانية السيئة حينما عزا ذلك إلى عدم تعاون القبائل وإلى انشغال الدولة العثمانية في حروبها ضد روسيا(٩١) ، فالمفروض أن الدولة العثمانية جاءت إلى المنطقة لتحريرها من الاستعمار وهي مركز الخلافة الإسلامية وعليها وضع النظم والقوانين التي تتناسب مع ظروف سكان هذه المنطقة ، لا ضد رغباتهم ، فالأوضاع كانت مستتبة إلى حد ما قبل توجه الحملة العثمانية إلى الأحساء وبخاصة أثناء فترة حكم " **فيصل بن تركي** " وبالرغم من وجود الخلافات بين الشقيقين " **عبد الله وسعود** " إلا أن واجب السلطة العثمانية كان علاج الموقف بشكل يجعل جميع القوى في المنطقة تقف إلى جانبها وليس ضدها ، بل إن هذه الظروف سمحت لبريطانيا بتركيز سيطرتها مستقبلاً على مناطق أخرى مثل الكويت كما سنرى ، وهذا ما دفع المؤرخ السوفييتي " **لوتسكي** " إلى القول : " **إن فتح الأحساء وتنكيل "مدحت باشا " الضاري بالبدو المتمردين هما من الأمور التي تشير إلى أن طلائع ممثلي الطبقة الحاكمة العثمانية في البلدان العربية تصرفوا بأنفسهم كخائنين للحركات الشعبية** "(٩٢) ومع أنني

أعارض حكم " **لوتسكي** " الشامل ، وأعترف بأن للدولة العثمانية إيجابيات كثيرة جداً لا تحصى ليس على بلدان الخليج العربي بل على الوطن العربي عامة ، إلا أن تصرف الولاة العثمانيين وسوء إدارتهم وعلى رأسهم " **مدحت باشا** " كانت من الأسباب الرئيسية لتقسيم المنطقة إلى قوى سياسية ضعيفة ، أفسحت المجال لبريطانيا للسيطرة التامة على مقدرات وموارد المنطقة .

والملاحظ أن الكويت قبلت التبعية العثمانية منذ البداية ، بل شاركت مشاركة فعالة في حملة الأحساء وكان لها دور هام في نجاحها[٩٣] ، وقد اختلف المؤرخون في أسباب قبول الكويت هذه التبعية ، فذكر البعض بأن شيوخ الكويت كانوا يملكون أراضي في البصرة ، فكان العثمانيون يهددون بقطع إيراداتها عندما تتعارض سياسة شيوخ الكويت مع سياستهم ، والبعض الآخر يذكر أن شيوخ الكويت كانوا لا يرغبون في الانفصال عن الرابطة الإسلامية التي كانت تتمثل في الدولة العثمانية ، أما الرأي الثالث فيذكر بأن الكويت لم تكن مرتبطة مع دولة كبرى بمعاهدة حماية ، فكانت تخشى معارضة الدولة العثمانية[٩٤] ، ويمكن أن نضيف رأياً آخر وهو أن النفوذ البريطاني لم يكن قد وصل إلى الكويت بعد ، فقد كانت الكويت أقرب إمارات الخليج العربي لمتلكات الدولة العثمانية في العراق ، ولكن لم يثبت وجود سيطرة عثمانية فعلية على هذه الإمارة قبل عام ١٨٦٩م . أما من ناحية شكلية فقد رفع "**الشيخ جابر الصباح**" عام ١٨٢٩م العلم العثماني على قصره نتيجة لمحاولة قام بها الإنجليز للنفوذ إلى إمارته ، وفي عام ١٨٤٥م طلبت الدولة العثمانية من حاكم الكويت حماية ميناء البصرة لقاء راتب كان يدفع له من خزانة الولاية[٩٥] .

وقد أدرك " **مدحت باشا** " أن لموقع الكويت أهمية كبرى لأية قوة متجهة من العراق إلى الأحساء ، كما لفت انتباهه امتلاك الكويت لعدد كبير من السفن يمكن استخدامها في النقل والتموين ، ويضيف " **صلاح العقاد** " بأن اشتراك أمير عربي في الحملة يعني **عبد الله الصباح** - سيحدث أثراً معنوياً ويدفع القبائل التي تدين بالولاء لحاكم الكويت للانضمام إلى صفوف العثمانيين[٩٦] . وقد برز دور الكويت في السياسة الخارجية عندما أوفدت الدولة العثمانية حاكم الكويت لإجراء أول

اتصال جرى مع قطر ، وقد نجح في دوره وتم رفع العلم العثماني فوق مدينة الدوحة[97] ،وقد منح " **مدحت باشا** " حاكم الكويت لقب باشا وأغدق عليه مساحات واسعة من مزارع النخيل على شاطئ الفرات معفاة من الضرائب ، وعندما توجه " **مدحت باشا** " لزيارة الأحساء في أوائل نوفمبر ١٨٧١م توقف بالكويت حيث تفاهم مع الشيخ " **عبد الله** " ومنحه لقب قائمقام ، ومع ذلك فإن تبعية الكويت للدولة العثمانية كانت غير مباشرة ، فشيخها يصرف الأمور الداخلية حسب تقاليد البلاد .

صدر فرمان بتعيين الشيخ " **مبارك الصباح** " قائمقاما على الكويت عام ١٨٩٧م بعد أن اختلف مع أشقائه[98] وكان الشيخ مبارك قلقا يخشى أن يحتل الأتراك أراضيه ، فأجرى اتصالات ودية متكررة عام ١٨٩٧م من أجل طلب حماية بريطانيا ، ولكن الحكومة البريطانية كانت لا تحبذ هذا الأمر لضرورة حفظ السلام في مياه الخليج ، غير أن نشاطات الروس عام ١٨٩٨م[99] حفزت بريطانيا على أن تعيد النظر بموقفها وتتخذ إجراءات لمجابهة النفوذ الأجنبي في الكويت ، فأسرعت بعقد اتفاقية سرية مع شيخ الكويت عام ١٨٩٩م[100] ، ويذكر " **جمال زكريا قاسم** " بأنه حتى بعد توقيع المعاهدة لم تمانع الحكومة البريطانية أن يرفع شيخ الكويت الراية العثمانية ، كما استمرت السفن الكويتية ترفع الراية العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى [101] وفي ظني أن سبب ذلك يعود إلى فشل حملة " **مدحت باشا** " وفشل السياسة العثمانية في الخليج العربي ، مما جعل السلطات البريطانية مسيطرة سيطرة تامة على منطقة الخليج ومنها الكويت ، وأصبح رفع العلم العثماني أو عدمه لا يثير اهتمامها كثيراً فهو مظهر شكلي واسمي فقط ، كما أن السلطات البريطانية كانت تعلم بأن السلطة العثمانية لن تغامر بإرسال جنودها إلى الكويت أملاً في إخضاع " **مبارك** " لها ، كما أن " **مبارك** " لم يشأ أن يجاهر بعدائه للدولة العثمانية ، وحرص على أن تكون علاقاته مع الدول الأوروبية سرية[102] .

وإذا كانت حملة " **مدحت باشا** " قد وثقت الصلات بين الكويت والدولة العثمانية فإن الموقف بالنسبة إلى البحرين كان مختلفاً تماماً ، فقد استطاعت بريطانيا وضع اللبنة الأولى في

جدار الحماية البريطانية على البحرين في معاهدة عام ١٨٦١م ، ثم فرضت عليها الحماية عام ١٨٨٠م(١٠٣) ، وكان الخطر الأساسي الذي يهدد البحرين خلال حكم الإمام " **فيصل بن تركي** " هو الخطر السعودي ، وكانت السلطات البريطانية قبل حملة " **مدحت باشا** " تبدي اهتماماً أكثر بمقاومة الأخطار الفارسية وادعاءاتها(١٠٤) وبالرغم من أن الحكومة العثمانية كانت تطمئن وباستمرار بريطانيا بأن الحملة المرسلة إلى شرق شبه الجزيرة لن تمس البحرين ، إلا أن " **مدحت باشا** " كانت له أهداف أخرى ، وقد صرح بها مراراً كما ذكرنا سابقاً(١٠٥) وقد شعرت السلطات البريطانية بالخطر المحدق بها عندما رأت القوات العثمانية في الأحساء تحتل قطر ثم تحاول السيطرة على قاعدتهم الهامة في البحرين .

وأصدرت حكومة الهند أوامرها إلى " **بيلي** " بالتوجه إلى البحرين وطلبت إليه أن يعمل على منع العثمانيين من التدخل في شئون البحرين ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة ، وهذا ما حصل في شهر نوفمبر من نفس العام عندما حاول " **مدحت باشا** " التوجه من القطيف إلى البحرين مصطحباً معه السفينتين الحربيتين " **الإسكندرية** " و " **لبنان** " فوجد أسطولاً بريطانياً يتعقبه في عرض البحر ، فعدل عن الذهاب بنفسه إلى البحرين لأنه يدرك أن " **بيلي** " لن يسمح له بالتدخل في شئونها(١٠٦) .

ولما فشل " **مدحت باشا** " في ضم البحرين إلى الأحساء بالقوة ، حاول إقناع شيخ البحرين بالدخول في دائرة النفوذ العثماني ، فأرسل "**عارف بك**" للتحقيق في مصرع أحد شيوخ بني هاجر ، ثم عرض هذا المندوب موضوع التعاون العثماني البحريني تمهيداً لخضوع البحرين للنفوذ العثماني ، وقد أحسن " **الشيخ عيسى** " استقبال مبعوث " **مدحت باشا** " وسمح برسو سفن التموين العثمانية ، وجامل المبعوث منطلقاً من احترامه للخليفة العثماني المسلم فقال " **إنه لم ير سفناً عثمانية منذ زمن طويل** "(١٠٧) قاصداً المجاملة . ثم قدم شيخ البحرين اعتذارا لمقتل الرجل على أرض بلاده ، وتبرع للسلطات العثمانية بقطعة أرض وسمح لهم بإقامة مستودعات للوقود اللازم لسفنهم . ولقد كثر تردد السفن العثمانية على البحرين بعد ذلك بحجة التزود بالماء والوقود ، الأمر الذي أزعج السلطات البريطانية فطلبت من شيخ

البحرين الحد من نشاط العثمانيين في الجزيرة[١٠٨] .

أخذت حملة " مدحت باشا " تضايق السلطات البريطانية خاصة بعد توسعها في قطر ، وراح " قاسم بن ثاني " حاكم قطر يرسل بأعلام الدولة العثمانية إلى شيوخ القبائل . وظل خطر التوسع العثماني في قطر يخيف السلطات البريطانية ويهدد قاعدتهم الهامة في البحرين ، لكن السلطات البريطانية كانت حذرة واتخذت جميع الوسائل لإضعاف شيخ البحرين حتى يبقى دائماً بحاجة إلى مساعدتها . وقد طبقت هذه السياسة منذ عام ١٨٦٦م عندما ثبت للمقيم البريطاني في الخليج أن حاكم البحرين كان يدفع الزكاة ومقدارها أربعة آلاف ريال للسعودية في مقابل الحماية . ويقول " لوريمر " : لما حامت الشكوك حول وجود تفاهم بين شيخ البحرين والسلفيين تمت عملية إغراق سفينة البحرين المعروفة باسم " دينار " وذلك لمضايقة شيخ البحرين حتى لا يربط مصيره بالسلفيين[١٠٩] . وفي عام ١٨٦٨م أحرقت السلطات البريطانية أكبر سفينتين للحاكم كما أحرقت القلعة . وفرضت على الحاكم دفع غرامة مقدارها مائة ألف درهم[١١٠] ثم أخذت السلطات البريطانية تهدد حاكم البحرين بإلغاء المعاهدة ، هذا بالإضافة إلى أن الأسطول البريطاني كان متواجداً في المنطقة لحماية البحرين ، وكانت جميع هذه الاستعدادات جاهزة خوفاً من أن تنجح السلطات العثمانية في التأثير على حاكم البحرين فينضم إليها وبهذا تفقد بريطانيا مركزاً هاماً لأسطولها وسيطرتها . وفي عام ١٨٧٤م حاولت الدولة العثمانية أن تزيد من قوة حامياتها العسكرية في قطر ، ورأت أن تعيد بناء ميناء " الزبارة " على الساحل ، وكانت " الزبارة " تحت سيطرة قبائل " النعيم " الموالية لشيخ البحرين . لذلك قامت بريطانيا بتقديم احتجاج رسمي للدولة العثمانية في ١٩ ديسمبر ١٨٧٤م[١١١] أكدت فيه أن " الزبارة " تابعة للبحرين ولازالت ، وستمنع إقامة أي مركز عليها معاد لسلطاتها في الخليج . والملاحظ هنا أن بريطانيا تنظر بالدرجة الأولى إلى مصالحها في المنطقة .

ولما فشلت خطط العثمانيين السابقة اتجهوا إلى تشجيع القبائل البدوية في الأحساء وبخاصة " بنو هاجر " على مهاجمة البحرين . وتزعم الحملة "

ناصر بن مبارك " لكن السلطات البريطانية كانت لهم بالمرصاد سواء حين اتجهوا إلى البحرين أو إلى الزبارة حيث لاحقتهم السفن البريطانية ، مما أدى إلى انسحابهم(١١٢) وقد اتخذت بريطانيا هذا الموقف بناءً على طلب الشيخ عيسى حاكم البحرين بعد أن وصلته الأخبار بأن بني هاجر يجمعون جموعهم لغزو البحرين . أما الحكومة العثمانية فقد قدمت احتجاجاً إلى الحكومة البريطانية توضح فيه أنها هي التي انتدبت بني هاجر لمطالبة قبيلة بني النعيم ، والتي هي من رعاياها ، بدفع الضرائب(١١٣) لكن السلطات البريطانية ادعت أن المبعوث العثماني كان وراء تحريض بني هاجر لذلك قام السفير الإنجليزي في الآستانة بتقديم بلاغ إلى الحكومة العثمانية يرفض فيه تعرض استقلال البحرين للخطر(١١٤) .

والحقيقة أن الإنجليز لم يكونوا مرتاحين لدفع البحرينيين الأمور إلى ذلك المستوى من التأزم ، إذ لم يكونوا على استعداد للتصادم مباشرة مع العثمانيين .

لقد ضعفت السلطات العثمانية أمام تحدي بريطانيا لها في الخليج ، وذلك يرجع إلى " **المساعدات التي منحتها بريطانيا للدولة العثمانية والقروض التي قدمتها لها عقب حرب القرم** " مما أدى إلى عدم حدوث تعارض كبير بين الدولتين في تلك الجهات ، فالنزاع بين الطرفين اقتصر على الرسائل والتهديد والاحتجاج وتقديم المذكرات فقط ، ولم تحدث معارك كبيرة بين الطرفين . وكانت القوة العثمانية هي الضعيفة دائماً في المنطقة ، وحتى عندما أصبحت قوية وقامت بحملة " **مدحت باشا** " كانت الفرصة قد ضاعت منها ، وعلى الرغم من الإمكانيات الكبيرة التي جندها " **مدحت باشا** " أثناء حملته لمحاولة كبح جماح النفوذ البريطاني في محاولة إحلال النفوذ العثماني مكانه في بلدان الخليج العربي ، فإنه لم ينجح في ذلك لأن العثمانيين جاءوا متأخرين في محاولتهم تلك بعد أن كان الإنجليز قد وطدوا أقدامهم في المنطقة في غفلة من الدولة العثمانية آنذاك ، ومع أن الدولة العثمانية كان بإمكانها متابعة مجهودات " **مدحت باشا** " ، خاصة بعد توطيد علاقاتها مع الأحساء وقطر والكويت ، وأن تكون نداً للبريطانيين في هذه المنطقة ، إلا أنها بسياستها الطائشة فتحت أمامها جبهات

وصراعات كانت في غنىً عنها ، وبخاصة نزاعها مع السعوديين الذي كان سبباً في إضعاف موقف العثمانيين أمام الإنجليز في المنطقة . كما كان بعد ذلك سببا في إضعاف السعوديين والإمارات العربية جميعها أمام الإنجليز ، كذلك فشلت الدولة العثمانية في المحافظة على أصدقائها مما أدى إلى الصدام بين العثمانيين وحلفائهم مثل " **قاسم بن ثاني** " حاكم قطر ، وهذا بدوره دفع بريطانيا لأن تفرض الحماية البريطانية على قطر وتفصلها عن البحرين ، ثم خرجت إمارة أبو ظبي من دائرة النفوذ العثماني، وأخيراً تخلت الكويت عن الدولة العثمانية وارتبطت مع بريطانيا بمعاهدة ، وهكذا أتت الحملة بعكس ما هدفت إليه .

وبالرغم من أن " **مدحت باشا** " كان يركز في رسائله على الزعامة الروحية للدولة العثمانية وعلى العامل الديني القوي بين سكان المنطقة والخلافة العثمانية ، إلا أن واقع سياسته وأعماله كانت تدل على عكس ذلك ، فلم يتعامل مع القبائل والحكام من منطلق ديني كمسلمين تربطهم خلافة إسلامية واحدة ، بل كان له دور في إثارة المشاكل بين قبائل المنطقة ولذلك انقلبوا عليه بل وتعاونوا مع بريطانيا ضد السلطة العثمانية دون أن يكون للعامل الديني أي أثر يذكر ، وترتب على ذلك سقوط المنطقة بكاملها تحت السيطرة البريطانية ، وبهذا فشلت الحملة في توحيد القوى السياسية في المنطقة بل كان لها دور مباشر في تشكيل هذه القوى وتركيزها وزيادة عددها ، مما أدى إلى استمرار بقاء المنطقة ، وحتى الآن ، غير موحدة ومقسمة وضعيفة أمام القوى الطامعة فيها .

د. فائق حمدي طهبوب
دولة الإمارات العربية المتحدة

المراجع

١ ـ جمال زكريا قاسم : النزاع البريطاني العثماني في الخليج العربي قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . المجلة التاريخية المغربية ص ٣٥٥ ، السنة العاشرة ، العدد ٣٠ / ١٩٨٣م .

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .

٣ ـ أبحاث الحلقة الرابعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ، مركز الدراسات والوثائق ـ أبوظبي ، نوفمبر ١٩٧٩م ، ص ٢٤٤ ، تعليق عبد الله أبو عزة .

٤ ـ Aitchison c. u., A collection of treaties, engagements and Sanads, relating to India & Neighboring Countries, Vol. XI . pp. 245 - 8 .

٥ ـ Curzon . G.N. Persia and the Persian question . Vol. II . P.451 .

أنظر النص الكامل للمعاهدة في : سيد نوفل ، الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي ، بيروت ١٩٦٩م ، ص ٤١١ .

٦ ـ صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٦٩ ، القاهرة ١٩٦٥م .

٧ ـ أحمد أبو حاكمة : تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ترجمة محمد أمين ، ص ٦٠ ، بيروت ١٩٦٥م .

٨ ـ وثائق عابدين ، محفظة ٢٦٧ ، صورة الإرادة رقم ٢١ بتاريخ ٢ رجب ١٢٥٥هـ .

٩ ـ Kelly : Britain and the Persian Gulf ,342, London 1965 .

١٠ ـ عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٣٣ ، القاهرة ١٩٦٨م .

١١ ـ جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ص ٣٦٠ .

١٢ ـ Aitchison : OP. ,Cit. , Vol. X pp. 16-18 .

١٣ ـ عبد العزيز نوار : المصدر السابق ص ٣٩٥ .

١٤ ـ لوريمر جـ . جـ . : دليل الخليج جزء ٣ ص ١٤٥ ترجمة ديوان حاكم قطر .

١٥ ـ I.O.R. : R 15 / I / 031 OL, 25th Jamada Lawal 1278, from Ahmad Tawfik Pasha, Governor of Baghdad to : Colonel Kemball, Consul General at Baghdad .

١٦ ـ فائق طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ٢٧٥ ، الكويت ١٩٨٣م .

قامت إحدى القبائل بالاعتداء على سلطنة عمان وقتل أحد رعايا بريطانيا ، فأرسل المقيم البريطاني " بيلي " إنذاراً إلى الأمير ، ولعدم الرد على الإنذار قام الأسطول البريطاني بضرب الدمام .

١٧ ـ E.O., 195, 803A, Letter No. 15 of 1866 from British Consul General, Baghdad, to Lord Lyons II, B.M.S. Ambassador in Constantinople, dated 18th April 1866 .

١٨ ـ I.O.R. : R 15 / 1 / 0 / 161 No. 46, 4th December 1861, From Kemball Consul General at Baghdad, To Secretary to the Government of India .

١٩ ـ جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤م) ، الكويت ط ٢ ، ١٩٧٤ ، ص٨٠ . يذكر جمال بأن شيخ البحرين كان يدفع ٤٠٠٠ ريال سنويا ، وسلطان مسقط ٦٠٠٠ ، ورؤساء الساحل المهادن ١٢٠٠٠ ريال .

أنظر أيضاً أبحاث الحلقة الرابعة ، مركز الدراسات والوثائق ، أبوظبي ، المصدر السابق ص١٩٨ .

٢٠ ـ Kelly : Op. Cit. , pp. 131 - 132 .

كان من ضمن شروط المعاهدة أن يتعهد الأمير بالمحافظة على الرعايا البريطانيين المقيمين في الأراضي السعودية وألا يهاجم أو يلحق الأذى بأراضي القبائل المتحالفة مع الحكومة البريطانية .

٢١ ـ عبد العزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٥١ .

٢٢ ـ جمال زكريا قاسم : النزاع البريطاني العثماني ، المصدر السابق ص٣٥٨ .

٢٣ ـ محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي (١٨١٨ ـ ١٩١٣م) ص ١٤٩ ، الكويت ١٩٨ .

أنظر أيضاً : ديكسون هـ . و : الكويت وجاراتها ، جـ ١ ص ١١٧ .

٢٤ ـ جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الإمارات العربية ، المصدر السابق ص ١٧٢ ـ ١٧٤ .

٢٥ ـ محمد عرابي نخلة : المصدر السابق ص ١٥٢ .

٢٦ ـ لوريمر جـ . جـ : دليل الخليج ، ترجمة ديوان حاكم قطر جـ ١ ص ٣٨٣ .

٢٧ ـ جمال زكريا النزاع البريطاني العثماني ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨ .

٢٨ ـ F.O. : 195 / 944 No. 44 , From Herbert to the Secretary to Government of India, Nov. 7th 1971 .

٢٩ ـ للتعرف على تفاصيل الخلافات بين أبناء الأمير فيصل أنظر جمال زكريا : دراسة لتاريخ الإمارات ، ص ١٧٧ .

٣٠ ـ فائق طهبوب : المصدر السابق ص ٢٧٧ .

٣١ ـ L / P - S /18, Vols. , 91 - 160, Paragraph (10) , p. 7-8 .

أنظر أيضاً لوريمر : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١٦٨٠ .

٣٢ ـ Philby H. Sr. Jone : Saudia Arabia pp. 192 - 193, Lebanon, 1968 .

٣٣ ـ عبد العزيز نوار : المصدر السابق ص ٤١٣ ، ٤١٧ .

٣٤ ـ صلاح العقاد : حملة مدحت باشا لجنة تدوين تاريخ قطر ، جـ ٢ ، قطر ١٩٧٩م ، ص ٩١٦ .

٣٥ ـ F.O. : 78 / 2173 .Letter No. 98 . From H. Elliot , to Lord Granville dated 22nd Feb. 1871 .

٣٦ ـ F.O. : 78 / 2174 Telegram No. 141 . From Sir H. Elliot to Lord Granville, Dated April 3rd,1871 .

٣٧ ـ T.O.R. : L / P - S /18 . Vols. 91 -160 . Nejd Expedition . Precise Paragraph 10 P.6 .

٣٨ ـ Kelly : Op. Cit. , P. 729 .

٣٩ ـ صلاح العقاد : المصدر السابق ص ٩١٨ .

٤٠ ـ T.O.R. : Nejd . Expedition Op. Cit. P. 6 .

٤١ ـ F. O. : 78 / 2174, Teg. No. 171, From H. Elliot to Lord Granville, dated 20th April 1871 .

٤٢ ـ F.O. : 78 / 2176 From Medhat to Herbert dated 1st June 1871 .

٤٣ ـ I.O.R. : Nejd Expedition, Op. Cit. Paragraph 10 , P. 6 .

٤٤ ـ صلاح العقاد : المصدر السابق ، ص ٩٢٩ .

٤٥ ـ I.O.R. : Nejd Expedition . Op. Cit. , Paragraph 14 . P.9 .

أنظر أيضاً فائق طهبوب : المصدر السابق ، ملحق (١٤) ، نص المعاهدة ص ٣٤٠ ـ ٣٤٢ ، ص ٢٦٨ ، كان سبب فرض المعاهدة أن محمد بن خليفة قام بهجوم على الموانئ وحاصرها وضيق الخناق على التجارة وصيد اللؤلؤ ، فهاجم الأسطول البريطاني ساحل الأحساء واستولى على أفضل سفن البحرين ، وفرض المقيم البريطاني " فلكس جونز " معاهدة جديدة على حاكم البحرين وطلب منه توقيعها تحت التهديد باستعمال القوة .

٤٦ ـ لوريمر : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ١٣٥٦ . يذكر لوريمر أن الشيخ عيسى بن علي نصب حاكماً على البحرين دون أي تدخل من السلطات البريطانية .

انظر أيضاً I.O.R. : L / P and S / 18 , Memorandum on the Separate Clams of Turkey and Persia to Sovereignty Over the Island of Bahrain, P.19 .

٤٧ ـ F.O. : 78/2176 From Medhat to Herbert . dated 1st June 1871 .

٤٨ ـ F. O. : 78 / 2175 Letter No. 225, From Elliot to Herbert , dated 8th June 1871 .

٤٩ ـ I.O.R. : Nejd Expedition , Op. Cit. Paragraph 17, P.11, .

٥٠ ـ أبحاث الحلقة الرابعة ، مركز الدراسات والوثائق ، أبوظبي ، ص ١٩٧ . دراسة مقارنة بين الوثائق التركية والبريطانية ، أحمد العناني .

٥١ ـ أحمد حيدر مدحت : مذكرات مدحت باشا . تعريب يوسف كمال ، القاهرة ١٣٢٥هـ ص ١٧٦ .

٥٢ ـ Kelly : Op. Cit., P. 720 .

٥٣ ـ F.O. 78 / 2176 Letter No. 28 From Herbert to Secretary to Government of India, 21st June 1871 .

٥٤ ـ عبد العزيز نوار : المصدر السابق ص ٥٣ .

٥٥ ـ F. O. : 78 / 2176 Letter No. 28 From Herbert to Elliot, 21st June 1871 .

٥٦ ـ محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٨ بيروت ١٩٦٢م .

٥٧ ـ صلاح العقاد : حملة مدحت باشا ، المصدر السابق ص ٩٢١ .

٥٨ ـ حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٣٨ القاهرة ١٩٦٧م .

٥٩ ـ محمد عبد القادر الأنصاري : تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء ، ص ١٧١ ، الرياض ١٩٦٠م .

٦٠ - Kelly : Op. Cit. P.726 .

٦١ - جمال زكريا قاسم : النزاع البريطاني العثماني ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨ .

٦٢ - محمد عرابي نخلة : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

٦٣ - I.O.R. : Nejd Expedition , Op. Cit., Paragraph 21, P. 2 .

٦٤ - صلاح العقاد : المصدر السابق ، ص ٩٣١ .

٦٥ - أبحاث الحلقة الرابعة ، مركز الوثائق والدراسات ، أبوظبي ، المصدر السابق ، أحمد العناني ص ٢٠٢ .

فرض " بيلي " المقيم البريطاني في الخليج على حاكم قطر اتفاقية السلام البحري في ١٢ سبتمبر ١٨٦٨م تعهد فيها الشيخ محمد بن ثاني بالإقامة الدائمة في الدوحة والمحافظة على السلام البحري ودفع الضريبة السعودية إلى البحرين عن طريق المقيم البريطاني وفرض غرامة تدفع للهنود الذين نهبت محلاتهم .

أنظر أيضاً ، لوريمر : المصدر السابق جـ٣ ص ١٣٤٥ - ١٣٥١ .

٦٦ - أبحاث الحلقة الرابعة : المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

٦٧ - صلاح العقاد : المصدر السابق ، ص ٩٣٥ .

٦٨ - I.O.R. : L / P - S / 18 Vols. 90 - 160 Nejd Expedition, Paragraph . 21, P. 12

٦٩ - Kelly : Op. Cit., P.730 .

٧٠ - المصدر السابق ، ص٧٣١ .

٧١ - I.O.R. : L / P - 5 / 18 Vols. 91 - 160 Paragraph 10 Nejd Expedition Precise, P. 7 .

٧٢ - محمد عرابي نخلة : المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

٧٣ - عبد العزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .

٧٤ - F.O. 78 / 2176, No. 374, From Sidney Smith Acting Resident in P.Gulf to Pelly, dated 21 July, 1971 .

٧٥ - أبحاث الحلقة الرابعة : مركز الوثائق والدراسات / أبوظبي ، المصدر السابق ، ص٢١٥ .

أنظر أيضاً لوريمر : المصدر السابق جـ٣ ، ١٣٤٥ - ١٣٥١ .

٧٦ - المصدر السابق ص ٢١٥ . وانظر أيضاً شركة الزيت العربية الأمريكية : عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، ص٢٥٥ ، القاهرة ١٩٥٧م .

٧٧ - أبحاث الحلقة الرابعة : مركز الوثائق والدراسات / أبوظبي ، المصدر السابق ص٢١٥ أحمد العناني .

وانظر المصدر السابق ص ٢١٥ .

وانظر أيضاً F.O. 78 / 2176 : From Pelly to Political Secretary to Government of India 11 Mar. 1971 .

و للتعرف على تفاصيل الأحداث أنظر محمد عرابي نخلة : ، المصدر السابق ص١٧٤.

٧٨ - عبد العزيز نوار : المصدر السابق ص ٤٣١ .

٧٩ - المصدر السابق ص٥٢ .

أنظر أيضاً صلاح العقاد : حملة مدحت باشا ، المصدر السابق ص٩٣٤ .

و أنظر أيضاً جمال زكريا قاسم : دراسة لتاريخ الإمارات العربية ، ص ٢٠٢ .

٨٠ - لوريمر : المصدر السابق ، ص ١٦٨٦ .

٨١ - I.O.R. : Nejd Expedition, Op. Cit., P. 6 .

٨٢ - محمد عبد القادر الأنصاري : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

أنظر أيضاً ديكسون : الكويت وجاراتها ، ص ١١٩ . يذكر ديكسون أن الإمام عبد الرحمن استلم إمارة الرياض في يناير ١٨٧٥م ، لكن لم يستقم الأمر له ، إذ تمرد عليه أبناء أخيه سعود فترك الرياض والتحق بأخيه عبد الله .

٨٣ - Philpy, J. : Op. Cit., P.266 .

٨٤ - السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ص١٦٦ ، القاهرة ١٩٧٠م .

أنظر أيضاً لوريمر : المصدر السابق ، ص ١٦٨٥ .

٨٥ - وثائق سعودية : التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين أبوظبي ومسقط والمملكة العربية السعودية جـ ١ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

٨٦ - محمد سعيد المسلم : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

٨٧ - لوريمر : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٣٨٣ .

٨٨ - عبد العزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٦٣ .

أنظر أيضاً لوريمر : جـ ٣ ، ص ١٢٢٧ .

٨٩ - للتعرف على التنظيمات الخاصة بالضرائب راجع : أبحاث الحلقة الرابعة / مركز الوثائق / أبوظبي . المصدر السابق ، وثيقة رقم (٣) ملحق المادة ٢ - ٩ .

أنظر أيضاً محمد عرابي نخلة : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

٩٠ ـ الأنصاري : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

و انظر أيضاً لوريمر : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ١٤٧٧ .

٩١ ـ جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

٩٢ ـ عبد العزيز نوار : المصدر السابق ، ص ٥٧ .

٩٣ ـ دائرة المعارف الإسلامية : مادة الكويت .

وانظر أيضاً جمال زكريا : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

٩٤ ـ محمد عرابي نخلة : المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

٩٥ ـ جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

٩٦ ـ صلاح العقاد : المصدر السابق ، حملة مدحت باشا ، ص ٩٢٣ .

٩٧ ـ Kelly : Op. Cit., P. 730 .

٩٨ ـ أحمد حيدر مدحت : مذكرات مدحت باشا ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .

وانظر أيضاً عبد الله فيلبي : المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

وانظر جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ ـ ٢٦١ .

٩٩ ـ أرنولد ويلسون : الخليج العربي ، ص ٤٠٤ ، ترجمة عبد القادر يوسف ، الكويت، بدون تاريخ .

١٠٠ ـ Hurwitz, J.C. : Diplomacy in the Near & Middle East, A Documentary Record, Vol. 1, P.218 .

١٠١ ـ جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ، المتن ، ص ٢٦٥ .

١٠٢ ـ لوريمر : المصدر السابق جـ ٣ ، ١٥٣٤ .

وانظر أيضاً : Aitchison : A Collection of treaties, OP. Cit., Vol.XII ,P. 262 .

١٠٣ ـ أرنولد ويلسون : المصدر السابق ، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

١٠٤ ـ فائق طهبوب : المصدر السابق ، الفصل السادس .

١٠٥ ـ Kelly : Op. Cit., P. 730 .

١٠٦ ـ ناصر بن مبارك هو من فرع " عبد الله بن أحمد " وقد عرض خدماته على الدولة العثمانية منذ اللحظات الأولى لنزول الحملة على شواطئ الأحساء .

وانظر محمد عرابي نخلة : المصدر السابق ، ص ١٧١ .

وانظر أيضاً Kelly : Op. Cit., P.733 .

وانظر I.O.R. : L / P - S / 18 : Op. Cit. P.33 .

وانظر أيضاً Nejd Expedition, Op. Cit., P.33 .

وانظر Curzon : Op. Cit., Vol. II, P.545 .

١٠٧ ـ صلاح العقاد : المصدر السابق ، ص ٩٢٧ .

١٠٨ ـ أبحاث الحلقة الرابعة : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

١٠٩ ـ لوريمر : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ١٣٤٦ .

١١٠ ـ فائق طهبوب : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

١١١ ـ F.O. : 78 / 5108 . Turkish Jurisdiction along the Arabian Coast Part II, P. 31 - 32 .

١١٢ ـ سالدانها ، جي آي : الشئون القطرية ، ص ٢٠ ، ترجمة أحمد العناني ، الدوحة ١٩٧٦م .

١١٣ ـ أبحاث الحلقة الرابعة : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ . يذكر أحمد العناني أن مشيخة البحرين هي التي واصلت هجماتها بدعم من بريطانيا ضد بني هاجر بل إنها لاحقتهم إلى قرب شواطئ الشارقة .

١١٤ ـ F.O. : 78 / 5108, Turkish Jurisdiction, Op. Cit., P. 32 .

وانظر أبحاث الحلقة الرابعة : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

F. O. : 78 / 5108 , From Jassim Bin Muhammed Bin Thani to Shaikh Isa Bin Ali Al Khalifa, 28th Aug. 1887 .

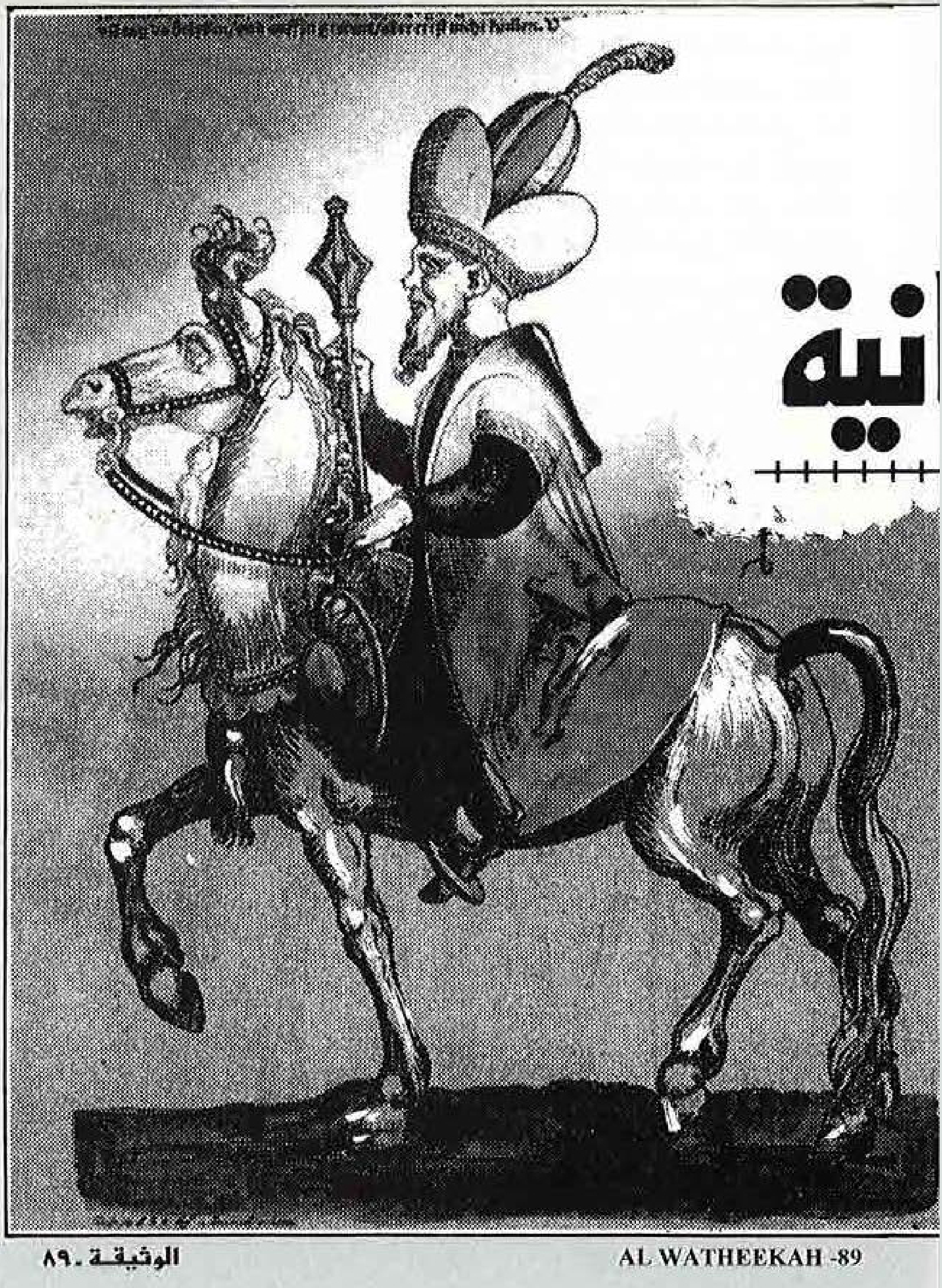
وانظر أيضاً أرنولد ويلسون : المصدر السابق ، ص ٣٩٨ .

المثقفون العرب..

والسلطة العثم

د. اسماعيل الربيعي

كان للنشاط الفكري فسحة أكبر من الاتجاه نحو العمل السياسي، وهذا كان ينبع من الإجراءات التي ركزت عليها حكومة الإتحاد والترقي لاسيما بعد فشل انقلاب السلطان عبد الحميد الثاني في ١٣ أبريل ١٩٠٩م. وعليه نجد أن الجهات الرسمية تقدم موافقتها على إنشاء الجمعيات والمنتديات ذات الاتجاه الأدبي والثقافي، وهي بهذا الإجراء كانت تعتقد بانها ستوجه أنظار الشبيبة العرب نحو ميادين أخرى، أقل خطورة وتهديدا لأساليبهم القمعية، حتى كان تأسيس المنتدى الأدبي عام ١٩٠٩م الذي جمع حوله المثقفين العرب المقيمين في العاصمة العثمانية. وتمكن بجهود مؤسسيه والمنضوين تحت لوائه، من قيادة العمل الفكري والثقافي، الموجه نحو خدمة القضية العربية والتعريف بها، وكشف المظالم والأخطاء التي تعمد إليها حكومة الاتحاديين.


انية

ولم يقف نشاط المنتدى عند حدود الآستانة. وإنما ظهرت للمنتدى فروع في سوريا والعراق، ليتم له سعة من الانتشار والعمل في البلاد العربية، الذي كرس المنتدى أهدافه وعمله في خدمتها والنضال من أجل قضيتها. ونتيجة للجهود والنشاط الذي لايهدأ، غدا أمر المنتدى قضية لايمكن التغاضي عنها أو السكوت عليها من قبل الاتحاديين، حتى كان قرار الإغلاق في مارس ١٩١٥م[١] ولم تقف مجريات العمل عند حدود ثابتة، بل كان أعضاء المنتدى كتلة من النشاط الدافق الذي لايستكين، وتمكنوا من جعل الآستانة ساحة وميدانا للعمل السياسي والفكري القومي، وهم لم يتوانوا عن تنظيم اللقاءات والمهرجانات الخطابية وحرصوا على اقتناء الصحف العربية التي كانت تصدر في مصر والبلدان الأخرى، لما فيها من أهمية في كشف الحكومة الاتحادية. لقد مثل العمل الفكري والثقافي مادة رئيسة للكفاح السياسي للمثقفين العرب، الذين وجدوا في الأخطار المحدقة بوجودهم القومي ما لم يكن يقف عند الاستغلال والسيطرة، بقدر ماكان تهديداً للهوية الثقافية العربية. حتى كانت الجمعيات والمنتديات الثقافية العربية تظهر للوجود، كتوكيد على الأصالة والاستمرارية وعدم الانقطاع، ولم تنحصر هذه الاتجاهات بفئات معينة، بقدر ما كانت اتجاهاً عاماً ساد قلوب ومشاعر المثقفين العرب حتى كانت الجمعية القحطانية تبرز للعمل عام ١٩٠٩م وبفاصل زمني قصير عن المنتدى الأدبي لم يتجاوز البضع شهور. إلا أن العمل فيما بينهما كان يشوبه بعض الاختلافات نتيجة لطبيعتهما المختلفة، فالقحطانية، جمعية سرية مؤلفة من العسكريين والمدنيين، وطريقة الاتصال والتنظيم تكاد يغلب عليها الطابع العسكري، نتيجة لهيمنة هذا التيار عليها[٢].

كانت الفرصة متاحة للمثقفين العرب من العمل بحرية أوسع خارج حدود الدولة العثمانية، لاسيما في المدن الأوروبية ومنها باريس على الخصوص. فقد احتضنت عام ١٩١١م تأسيس جمعية العربية الفتاة، والتي قامت بجهود الطلاب الدارسين هناك. وعلى الرغم من البعد الشاسع في المسافة التي تفصل أعضاء الجمعية عن السلطات العثمانية إلا أن الحذر والكتمان الشديد كانا أهم السمات الملازمة لأعمالهم. وهذا يوضح بجلاء أساليب القمع والبطش التي كانت تعمد إليها

السلطات العثمانية. ولم يكد العام ١٩١٢م يشرف على الانقضاء، حتى برز للوجود حزب اللامركزية الإدارية العثماني في القاهرة[٣] وكان مؤسسوه من العناصر التي لجأت إلى القاهرة تخلصاً من إجراءات القمع التي نالت منهم. وقد تركزت أهدافهم السياسية في وجوب منح العرب حقوقهم القومية، ولكن في إطار الدولة العثمانية. ولم تخرج أهداف الجمعيات والمنتديات التي ظهرت إبّان تلك الحقبة في بيروت وبغداد والبصرة والموصل وحلب ودمشق، عن المطالبة باللامركزية وإصلاح الأوضاع العامة والكف عن الممارسات القمعية الصادرة عن السلطات العثمانية. ومن الجدير بالإشارة، أن النشاط الفكري والسياسي المرتكز إلى الفكرة القومية، كان يعيش أوجه، وتمكنت جمعة العربية الفتاة من حشد الجهود واتفاقها على عقد مؤتمر عربي في باريس من أجل التنسيق وتنظيم العمل بين الجمعيات والمنتديات الأخرى. وبالفعل تم في ١٨ يونيو ١٩١٣م عقد المؤتمر العربي في باريس برئاسة الشيخ عبد الحميد الزهراوي الموفد من قِبَل حزب اللامركزية، وقد تلخصت أهداف المؤتمر بالتمسك بالدولة العثمانية والإبقاء على الارتباط بها. وضرورة إصلاح الأمور لإمكان الإبقاء على الدولة وضمان استمرارها. وقد حضر المؤتمر ٢٤ شخصاًمندوبين عن الجمعيات العربية في المهجر عن الولايات المتحدة والمكسيك وعن بعض أقطار المشرق العربي مندوبين عن سوريا ولبنان ومصر والعراق. ويخلص محمد عزة دروزة إلى القول؛ إن المؤتمر نال التأييد من الشام والعراق والاشتراك فيه كان من الشام والعراق[٤] بصفة خاصة.

أسهمت المدارس التي ظهرت في الأقطار العربية في بلورة الوعي وتوسيع الآفاق والمدارك بالنسبة للناشئة، على الرغم من قلتها وشحة المدرسين العاملين فيها، واعتماد اللغة التركية في التدريس. فلم تحظ سوريا، إلا بمدرسة ثانوية واحدة "**مكتب عنبر**"، إلا أن الظروف التي أحاطت بالطلبة جعلتهم يتحسسون الأوضاع المحيطة بهم، فالنفور كان يطغى على العلاقة القائمة بين الطلبة الدارسين والإدارة التي يؤلف الأتراك الثقل الرئيسي في الهيئة التدريسية[٥]، وهم في العادة من الناقمين، كون المنصب الذي تم تعيينهم له، يمثل حالة من النفي. مما كان له الأثر في انعكاس ذلك الأمر

على الطلبة. ومما زاد في تفاقم الأوضاع أن الطلبة من غير العرب القاطنين في سوريا، كانوا يتعالون على زملائهم العرب ولايتوانون عن إسماعهم المفردات النابية المؤذية. فكان من الطبيعي أن يكون الرد مباشراً من قِبَل الطلبة العرب. والواقع أن المستوى الذي بلغه الطلبة لم يكن محصوراً في مجال الصدام أو مواجهة الأخطار التي كانت تقع فيها الإدارة التركية. بل عمدوا إلى توسيع الأنشطة الثقافية والانفتاح على المجتمع من خلال تناول المواضيع التي توقظ في العامة الحس الوطني والقومي. فلم يكن اختيارهم لمسرحية "**طارق بن زياد**" مصادفة بقدر ماكانت تعبر عن الوعي الذي بلغوه في انتقاء الموضوعات لتمثيلها في إحدى حدائق دمشق العامة عام ١٩١٢م(٦).

لم يخرج الفكر العربي عن إطار الهيمنة الذي كانت تفرضه العلاقات الاجتماعية المنبثقة عن طبيعة الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها صاحب النتاج الفكري. ليكون التشكل والسمات العامة للتوجه الفكري انعكاساً للبيئة الاجتماعية، والتي لاتخرج عن منطلقات إثبات الوجود وتحقيق الذات، والتعبير عن الاهتمامات المتنوعة التي تكرسها الظروف المتاحة. وعلى هذا نجد أن الأصول الاجتماعية للنهضة الثقافية العربية تنحدر من الفئة الوسطى والتي توزع نشاطها ومدى علاقاتها مع فئة الأعيان التي تملك الجاه والسلطة والمال وتحقيق وشائج اتصال مع الأسر العلمية التقليدية ورجال الدين وبعض طوائف الحرفيين. إلا أن منجزات النخبة الثقافية العربية بقيت على العموم لصيقة بالسلطة السياسية، تتأثر بها وتنتج عنها، إن كان في مجال التأثر والإشادة أوالذم والانتقاد والمعارضة إلا أن البيئة الراكدة والتقاليد المتزمتة كانت تفرض ظلالها الثقيلة على النتاج المعرفي الذي يعمد إليه المثقفون. فلم ينزع أحدهم إلى الابتكار والتجديد إلا في حدود ضيقة، وبقيت الأفكار تدور في فلك من الرتابة والتقليدية التي لاتنقطع، تبحث في المتون والشروح. إلا أن هذا الوصف لايعني أن الركود كان مطلقاً. فقد برزت بعض الحركات المنادية بالإصلاح التي استمدت مادتها الفكرية من روح الإسلام، والتأكيد على أهمية هذا الدين الحنيف في النهوض العربي فكانت الحركة السلفية في نجد وداعيتها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٧٠٣ ــ ١٧٩٢م

ومحمد علي الشوكاني ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤م في اليمن وأبي الثناء الألوسي ١٨٠٢ ـ ١٨٥٣ م في العراق ومحمد بن علي السنوسي ١٧٨٧ - ١٨٥٩م في ليبيا ومحمد بن أحمد المهدي ١٨٤٣ - ١٨٨٥م في السودان(٧). وقيّض لهذه الحركات أن تلعب دوراً هاماً في بلورة الوعي القومي وتعميق الحس الوطني من خلال المواجهة الحاسمة التي دخلت فيها إزاء التحديات الكبرى التي واجهت الأقطار العربية.

أحست النخبة الثقافية العربية بعمق الركود الذي خلقته السلطة العثمانية، وسط التزاحم الشديد الذي برز إلى الواقع للأفكار والمفاهيم والمستوى الثقافي الذي بلغه العالم المتقدم المتمثل بالتحولات الهائلة في أوروبا. وكان من العسير عليهم أن يلقوا بالزخم القوي الذي خلقته مفردات الحضارة الحديثة والوسائل المتقدمة التي صارت في متناول اليد وقيد التداول لدى الأفراد في المناطق الموصوفة بالمتقدمة. ومما زاد في تفاقم هذه الحالة المقارنة غير العادلة التي وجد المثقفون أنفسهم فيها، والمتمثلة في بلوغ تلك الوسائل إلى بعض الولايات العربية في حين حرمت الأخرى منها، وساهمت هذه الأحوال في بلبلة خطوط الخارطة الثقافية العربية وتباينها بشكل ملفت للنظر. إلا أن هذا الأمر لم يكن يخرج عن جملة مبررات متعلقة بالموقع الجغرافي وطبيعة التركيبة الاجتماعية والإثنية والطائفية كمبرر لتدخل بعض القوى في هذا القطر أو ذاك لاسيما في النشاط التبشيري يضاف إلى ذلك الاعتبارات الاقتصادية والاستراتيجية لبعض الأقاليم وإذا ما كان"**خطاب النهضة**" قد عبّر عن نفسه صراحة في بعض الولايات العربية كالشام على سبيل المثال، فإن ولايات المشرق العربي الأخرى بقي توجهها الإسلامي يدور في فلك طبيعة العلاقة القائمة بالسلطة العثمانية أو إعادة النظر في الأوضاع السائدة في الولايات على صعيد الإدارة أوفي مجال الدين.

فرضت العلاقات السائدة على الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية أنماطاً راكدة من الأفكار، لم تتعد تناول المواضيع التقليدية التي سار عليها الأسلاف. وإذا ما كانت الأفكار الجديدة المتعلقة بالإصلاح والتحديث قد بلغت بعض ولايات المشرق العربي. فإن ماوصل لم يزد عن مجرد الوصف المطعم بالمبالغات والكثير من

الخيال، والتشويه أيضاً. فالنقل كان الواسطة التي تم فيها التعرف على تلك الأفكار. ولم يجد المثقفون العرب أنفسهم في معترك التجربة، ليبلغوا بأنفسهم جدوى ما يسمعونه ولم يكن لديهم من الوسائل ما يتيح لهم التمعن والتفرس والتعرف عن كثب على ما كان يدور في باقي الولايات التي تهيأت لها فرصة الانغماس في تلك الأفكار. وكان من العسير على المثقفين أن يدخلوا في ميدان الأفكار الجديدة، دون أن يكون لديهم حصيلة معقولة من المعلومات الأساسية المتعلقة بها[٨].

وإذا ما أتيحت الفرصة لبعض الأقطار العربية من الحصول على مجالات للاتصال المباشر بالتجربة التحديثية، كما في مصر ولبنان. فإن الحالة هذه مثلت حافزاً للنخبة المثقفة من النظر إلى الإصلاح كأمر ذي جدوى يمكن أن يتحقق في الولايات التي يقطنون فيها، طالما هي في إطار التحقق في الولايات العربية الأخرى. إلا أن ما أحاط بالولايات العربية من ظروف أعاق عملية الإصلاح من الظهور والبروز على صعيد الواقع بشكل واضح، ولم يتم في هذا المجال سوى أداء محدود أقدمت عليه السلطات الإدارية، وبقيت الصراعات القبلية وانكفاء السكان نحو مشاكلهم التي لاتنقطع في المجالين الاجتماعي والاقتصادي. وهذا نابع من طبيعة التجربة التحديثية التي نالتها تلك الأقطار، فلم تحظ الولايات العربية في جنوب الشرق العربي بولاة توجهوا نحو ترسيخ وتعميق جذور النهوض كما حدث مع محمد علي باشا في مصر. بالإضافة إلى قِصَر مدة ولاية الحكام[٩] والتبعية لنظام الحكم المركزي التابع بصورة مباشرة للعاصمة استانبول. إلا أن تلك العلاقة لم تكن موحدة، فعلى سبيل المثال أن علاقة العثمانيين بالحجاز بقيت إسمية، وكان من نتائج تلك العلاقة أن تتأثر حركة الإصلاحات وتتعرض للتوقف، ولم يكن هذا الأمر هو العائق الوحيد، بل كان موقف أشراف مكة مناوئاً للتنظيمات العثمانية الجديدة، انطلاقاً من رسوخ المفاهيم الدينية والخشية من بروز أفكار قد تخل بالشريعة. وعليه بقي التعليم خاضعاً لهيمنة رجال الدين. وظهرت إلى الوجود مطبعة الولاية عام ١٨٨٣م بجهود الوالي نوري باشا وفي العام التالي صدرت جريدة "**حجاز**" كأول جريدة تصدر في ولاية الحجاز[١٠].

وإذا ما كانت الدولة العثمانية قد حُمِّلت تبعات التخلف وتأخر بلوغ التحديث إلي الولايات العربية الواقعة تحت سيطرتها، فإن الأوضاع في اليمن تعكس خلاف ذلك. فالأحداث تكشف عن حرص حكم الإمامة للابقاء على الأوضاع القديمة، في حين أن الولاة العثمانيين كانوا يحرصون على تطبيق الإصلاحات فيها. إلا أن الشرك الذي كانوا يقعون فيه يتمثل في الاتهام بالخروج عن الإسلام ومحاولة تقويض أركان الدين الحنيف. حتى أن بعض الإشارات التي يعتمدها بعض المؤرخين تلمِّح إلى أن العثمانيين كانوا أكثر رعاية من حكم الأئمة لليمن[١١].وهذا القول لايخرج عن التحليل الذي وضعه د. سيار الجميل حول الدور العثماني في اليمن؛ **"كما أن هناك من يؤكد أن العثمانيين لم يكونوا سبباً في تأخر اليمنيين الذين كانوا متقوقعين علي رواسبهم التاريخية"**[١٢].

من المفيد العودة هنا إلى الدور الذي مارسه الأوروبيون في التأثير على العثمانيين، من حيث اتباع أساليبهم وتوجهاتهم في التغيير، إلا أن استيعاب التغيير وفهمه لابد أن تتوافر له جملة من العوامل، يقع في مقدمتها الوعي بطبيعة البيئة العقلية والفكرية للمجتمع، والإدراك بأهمية الأفكار وجدواها إن طبقت علي البيئة الأخرى. فإذا ما نجحت وقيض لها تحقيق الأهداف فليس من الواجب أن يكون شرط تحقيقها في بلدان ومجتمعات أخرى مختلفة تمام الاختلاف عن أوروبا[١٣]. إلا أن المركزية التي حظي بها الغرب، ووسائل القوة التي توافرت لديه، جعلت منه النموذج الأمثل في تقليده والأخذ عنه وإذا ما كان الصدام بين الجديد الذي يمكن وصفه بالغريب المنقول عن الغير، والقديم الذي يمثل الأصول والأعراف التي نشأ عليها الجميع وكانت جزءاً من تكوينهم المعرفي والثقافي، فهذا ليس بالأمر الغريب أوالشاذ بقدر ماهو أمر معقول وطبيعي ومنطقي، ينبع من غريزة الدفاع عن السائد والمألوف من الأفكار، ولطالما شهد التاريخ الصراع بين القديم والجديد على مختلف الأصعدة. ولم تكن النتيجة محسومة لأحد الطرفين الموسومين **"القديم - الجديد"**، بقدر ما تتركز الأهمية في مقدار الموضوعية والجدوى الذي يقدم لخدمة المجتمع ويتوافق مع أفكاره وآماله. إلا أن تأمين المصالح التي وضعتها الدول الأوروبية كسيف مسلط على الدولة

العثمانية، جعل من التنظيمات شرطا من الشروط الواجب تنفيذها[١٤].

توجه الفرنسيون في خطابهم إلى المصريين خلال حملة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م عن طريق محاور عدة يشير إليها المنشور المطبوع باللغة العربية والذي وزع في أنحاء البلاد، حيث التركيز على ملامسة الشعور الديني الإسلامي، من خلال التركيز على المقدمات التي اعتادها المشايخ ورجال الدين، وهم حين يتطرقون إلى التفصيل في أحد المواضيع، لايتوانون عن إقحام الأسلوب القريب من وعي الناس على غرار؛ **"فإن كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم"**[١٥] والفرز الذي بلغه الفرنسيون في اختيار الفئة التي انتقوها لتوجيه الخطاب إليهم، يفصح عنها المنشور بشكل مباشر؛ **"ايها المشايخ والقضاة والأئمة والجربجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون"**[١٦] مما يعكس الوعي الكامل بالفئات الإجتماعية ذات التأثير والحظوة، ووضعوا عليهم مهمة مخاطبة العامة. على الرغم من استهلال منشورهم بعبارة **"من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية"**[١٧].

يعمد ألبرت حوراني إلى جعل الدين من العوامل المساهمة في تشكيل معالم القبول للأفكار الإصلاحية، وهو في هذا يجتهد لإثبات هذه المقولة، من خلال تتبعه لموصول الأفكار الجديدة. حيث يشير إلى أن مسلمي سوريا وعلى الرغم من الدور المحلي الفاعل الذي كانت تلعبه العوائل الكبرى في المدن، فإن المنافذ كانت موصدة في وجه الإصلاح بحكم وثوق علاقاتها مع الهيئة الدينية[١٨]. في حين أن المسيحيين في سوريا قد تعرفوا عن كثب على الفكر الأوروبي بحكم العلاقات الدينية، والتي عملت الكنيسة الكاثوليكية على توطيدها منذ القرن السادس عشر، والنشاط الذي بذلته الإرساليات التبشيرية في تأسيس المدارس ذات الصبغة الطائفية لاسيما الكاثوليكية منها، وعليه تركزت أغلب تلك المدارس في لبنان وحلب. بالإضافة إلى نشاط الأديرة والتي مهدت السبيل للعلم لأبناء الطائفة وبعض أبناء السكان المحليين. وقد تهيأت الفرصة أمام المتعلمين من الاشتغال في الوظائف الحكومية. ولم يقف المتعلمون في

اتجاههم نحو الدرس على المدارس السابقة الذكر، بل عمد البعض منهم للإتصال بالعلماء والمشايخ من المسلمين للتعرف على اللغة العربية وفنونها، وقد بدأ هذه الخطوة مسيحيو حلب وبدورهم نقلوا خبراتهم إلى لبنان. ونتيجة للفرص المتاحة أمام الحاصلين على التعليم المنظم والعلمي للغة العربية للعمل في المناصب الهامة وذات الحظوة لدى الحكام المحليين، نجد الحرص الشديد الذي اولته الأسر في جمع المعلومات تدور في فلك الأسرار العائلية على اعتبار أنها عماد قوتها ومكانتها. وعلى هذا برزت عوائل عرف جلّ أبنائها ناشطين في مجال العمل الأدبي مثل عوائل الشدياق والبستاني واليازجي(١٩).

في سبيل الوقوف على الأسس التي استندت إليها اليقظة العربية، هناك عدة أعمدة قامت عليها حركة النهضة الفكرية. ولعل الاتصال بالغرب كان المفتاح الذي تم به فتح رتاج السكونية التي فرضت ملامحها على الحياة الفكرية العربية. حتى كان الانفتاح على التعليم الحديث وانتشار المدارس وفق المناهج الحديثة المختلفة عن الأساليب التقليدية وظهور التجمعات الثقافية والفكرية على شكل جمعيات ومنتديات أدبية وسياسية. ويتبنى الدكتور حليم بركات جملة من الأسئلة برزت على الساحة الفكرية في خضم المرحلة التي يدعوها بالتأسيسية مبتدئاً إياها بالحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م وينهيها بالعام ١٩١٤م الذي نشبت فيه الحرب العالمية الأولى. متناولاً المكانة التى بلغها الغرب والظلامية التي تسود الشرق، والأسس التي يجب أن يأخذ بها الشرقيون في علاقتهم مع الغرب، وما هو الأهم في ترتيبات الحياة، المُثل أم الماديات، وهل الخلل والارتباك والوهن والضعف هي من مسئولية السلطة العثمانية ونظمها الإدارية(٢٠).

هل وفق الفكر العربي في مواجهة زحف الغرب، وهل تمكن من طرح بدائل فكرية يمكن من خلالها التعبير عن الذات وتوكيدها، والخلاص من الانكباب المباشر على التجارب الجاهزة، فهل يكفي أن تكون قوة الغرب ورجحان كفته في مجال المقارنة، مبرراً كافياً للتبعية المطلقة له وإذا ماكان الغرب قد أضحى رديفاً للرقي والتقدم وحسن التنظيم، فهل يعني هذا أن الإخفاق

والفشل ملازم لأي فكر آخر. تلك أسئلة عنت للمفكرين العرب، إلا أن الخلاصة التي وقع عليها المفكرون لاسيما الذين ناصبوا تيار محاكاة الغرب العداء في البداية، قد تركزت في إمكانية الأخذ من التجربة الناضجة التي بلغها الغرب وجعلها وسيلة للبناء والدعم[٢١]في سبيل بلوغ وسيلة ناجعة ومفيدة للمواجهة إذا ما حدثت والموقف من الغرب لم يكن برمته تعبيراً عن قرار ديني تم حسمه وصدر فيه القرار، بقدر ما كان خاضعاً لأعمال العقل والوعي والفهم. وعلى هذا لايمكن اعتماد الفصل الديني في لبنان على سبيل المثال، فلم يكن موقف المسيحيين اللبنانيين من الانفتاح على الغرب ينبع من حالة تحيُّز ديني لصالح الغرب بقدر ما كان خاضعاً للحاجات الأساسية والإمكانات المتاحة والمتوافرة والتي تؤثر التغيير. أما موقف الإسلام من العلم والانفتاح على التجارب الرصينة والمفيدة، فإنما يفصح عنه أن الإسلام هو دين العقل[٢٢].

حصلت مصر على مجال واسع من الاتصال الفكري مع أوروبا، فلم تكن العملية تقوم على قدوم الأوروبيين الى البلاد العربية، بقدر ما اجتهدت السلطة السياسية في تدعيم تجربتها الإصلاحية من خلال إرسال البعثات العلمية إلى فرنسا وانجلترا وإيطاليا وبعض البلدان الأوروبية[٢٣]. بالإضافة إلى النفوذ الذي حرص عليه الخبراء الأوروبيين الذين اعتمدهم محمد علي باشا في تحقيق مشروعه التحديثي لمصر، وما تهيأ لهم من تأثير على النخبة المثقفة من خلال الاتصال والحوار المباشر، ولايمكن إغفال الهجرة التي قام بها رجال الفكر والأدب والصحافة من الشام واستقرارهم في مصر، مما كان له الدور الفاعل في جعلها أحد مراكز الفكر الهام، لتبنيها مجموعة من الاتجاهات والتيارات الفكرية ذات التأثير الفاعل والمؤثر بالمجتمع بسبب النشاط والوسائل المختلفة المستخدمة. وإذا ما كان التحديث الذي أقدمت عليه السلطة العثمانية في بعض الولايات، يصب في خدمة إداراتها وموجه بالأصل لجهازها الوظيفي وكبار ضباطها المقيمين في تلك الولايات فإن مصر ويحكم ظرفها السياسي وتجربتها الخاصة بها، قيض لها الحصول على مؤسساتها الفكرية الخاصة بها. والتي نشطت في تفعيلها شخصيات وأعلام فكرية وتحقق لها الاستفادة

من المناخ الذي ساد وتهيأت لها فرصة تحقيق مشروعها الفكري في خضم طموحات الحكام السياسية، إلا أن الأمر لم يكن يسير بإيقاع واحد دون هزات ومفاجآت (٢٤). ناتج من طبيعة العلاقة السياسية بين مصر والدولة العثمانية أو الدول الأوروبية فالرموز الشاخصة بقيت تدور حول محمد علي الذى غدا ممثلاً للاستقلال في مصر وبقي أحفاده ممثلين لسلطة السلطان العثماني رمز العلاقة بالإسلام. وفي خضم هذه الأوضاع ساد الاتجاه لدى المفكرين بالتوجه نحو مخاطبة عقول العامة ويؤكد على أهمية الشعب في الحرية والمشاركة والعيش الكريم، فعلى الرغم من ظهور مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦م خلال عهد الخديوي إسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٦م، إلا أن حقيقة المشاركة كانت نابعة من المحاولة للإفلات من مأزق سياسي. إلا أن هذه الأوضاع أتاحت لمفكرين من طراز جمال الدين الأفغاني ١٨٣٩ - ١٨٩٧م التعبير عن آرائهم بجرأة وشجاعة، متوجهة نحو العامة بشكل مباشر (٢٥). وهنا لايمكن إغفال الجامع الأزهر الذي نهض بدوره العلمي والفكري ولم يكن مجرد مؤسسة دينية علمية لتخريج المشايخ والعلماء، بقدر ما كان منبراً فاعلاً في دعم حركة الإصلاح الإسلامي ودعوة الجامعة الإسلامية التي نهض بها الأفغاني وحشد لها الجهود، مما كان له أبرز الأثر في التوجهات الفكرية للحركة الوطنية في مصر. ويوضح لوتسكى الدور الذي لعبته الصحافة في معارضة الحكومة منذ عام ١٨٧٧م، حيث برزت جهود أديب إسحق وسليم نقاش في إصدار مجلة مصر وجريدة التجارة، وإفراد مساحة هامة لأفكار الأفغاني وتلامذته للنشر (٢٦).

إلا أن السلطة السياسية ممثلة بالخديوي بقيت على اتجاه واحد يتمثل في المحاولات المستميتة لنيل رضا وقبول أوروبا، حيث حرص الخديوي إسماعيل على إسباغ الصفات التي يفضلها الأوروبيون ويطرونها، إلا أن الواقع كان يفصح عن التمسك بالمظاهر على حساب الجوهر. فالمشاريع العملاقة والتي قيل عنها بأنها لرقي مصر ونقلها إلى مصاف البلدان المتقدمة، لم تكن في الواقع سوى مقاولات وصفقات جهدت الخبرات الاقتصادية الأوروبية لاقتناصها على حساب الاقتصاد المصري (٢٧). فكان من الطبيعي أن تظهر الاتجاهات العلنية للمعارضة، إلا أن هذه الأوضاع

أفادت ميادين الفكر والثقافة، فقد أتيح للتعليم أن ينال رعاية واهتماماً واسعاً، حيث تم تأسيس عدد واسع من المدارس، مما كان له أبرز الأثر في تنوير الأذهان وتوسيع المدارك من خلال التركيز على العلوم الحديثة والتي كانت تقدم خدماتها بشكل مجاني، والملاحظة الجديرة بالاعتبار أن تلك المدارس شهدت إقبالاً من قِبَل المتعلمين(٢٨)، وتم التوسع في التخصصات العلمية فظهرت المدارس العالية كالمهندسخانة والحقوق ودار العلوم والطب، والمدارس المهنية؛ كالفنون والصنايع والتلغراف ومدرسة المساحة والمحاسبة وفرقة الرسم ومدرسة الزراعة. وتأسيس مدارس لتعليم البنات إضافة لظهور عدد من المدارس الخاصة ومدارس أخرى أنشأتها الجاليات الأوروبية المقيمة في مصر لتعليم أبنائها وفق المناهج الأوروبية. كما لعبت الصحافة دوراً فاعلاً في تحفيز الوعي، فكانت الوقائع المصرية قد صدرت عام ١٨٢٨م(٢٩)، حتى بلغ عدد الصحف الصادرة خلال عهد حكم الخديوي إسماعيل إثنتى عشرة جريدة عربية، بالإضافة إلى الصحف الصادرة باللغات الأجنبية، والموجهة لخدمة الجاليات الأجنبية، ووعياً من طلبة البعثات العلمية التي أرسلتها الحكومة المصرية بأهمية المطبوع الثقافي، أقدم رفاعة رافع الطهطاوي ١٨٠١ - ١٨٧٣م على إصدار مجلة روضة المدارس(٣٠). ولم يقف الأمر عند حدود الصحف الصادرة في مصر، بل استقبلت الساحة الثقافية لمصر صحفاً كانت تصدر في بعض البلدان الأجنبية والعربية، فلقيت مجلة الجنان(٣١) ١٨٧٠ - ١٨٨٦م لمؤسسها بطرس البستاني صدىً واسعاً لدى الوسط الثقافي المصري، لما تناولته من شمول وغِنىً في المواضيع. وكذلك "**النحلة**" لمؤسسها القس لويس صابونجي، فيما برزت صحف مثل الأهرام ١٨٧٥م والمقتطف ١٨٧٥م بجهود بعض المثقفين الذين هاجروا من الشام إلى مصر(٣٢). ويعمد محمد عمارة إلى وصف الأوضاع الثقافية التي بلغتها مصر بأنها نتاج لتلاقح حضارتين وثقافتين الأولى ممثلة بالثقافة الإسلامية والتي عمل الجامع الأزهر على تدعيم أسسها وإبرازها إلى الواقع، أما الثانية فهي الفكر الغربي الذي يصفه بفكر الثورة الصناعية(٣٣)، حتى كانت النهضة المصرية التي وضعت بصماتها على الفكر والثقافة والحياة الاجتماعية والسياسية.

على الرغم من التطورات التي ظهرت في الدولة العثمانية والناجمة عن حركة الإصلاحات، إلا أن تأثيراتها على العراق بقيت محدودة، إن لم نقل لاشيء، وبقيت الصفات اللاصقة به لاتعدو تناول الصراعات والمواجهات القبلية الناشية بدون انقطاع، وثورات العشائر المستمرة وتخلف الأنشطة الاقتصادية. وكان من نتائج الإهمال والعزلة الذي نال العراق، أن تمتع الولاة العثمانيون والطاقم الإداري المحيط بهم بسلطات مطلقة حتى أن الإصلاحات التي توجهت نحو الهيئة الإدارية الحكومية، قد جعلت الارتباط بالعاصمة العثمانية أشد التصاقا، إلاانها أقل ولاء[٣٤]. وكان من الطبيعي أن تفرض هذه الأوضاع ظلها الثقيل على الأوضاع الاجتماعية في العراق، فلم يتح أي مجال لأبناء البلد للمشاركة في الحياة العامة. وبقي العنصر التركي هو المسيطر على الحلقات الإدارية، في حين ركن العنصر العربي لأداء مهام وظيفية متواضعة، خاضعة بشكل مطلق لرغبات وأهواء العنصر التركي، مما جعل الغالبية العظمى من أبناء البلد يأنفون من الانخراط في سلك الوظيفة الحكومية، ولم يمثل "**الأفندية**" سوى فئة ضئيلة ، لم تتمكن من التعبير عن نفسها بشكل واضح، حتى كانت الأحداث الناجمة عن وصول جمعية الاتحاد والترقي إلى السلطة عام ١٩٠٨م[٣٥]، والفشل الذي رافق مساعي الاتحاديين في الإجراءات التي اتخذوها في العراق. فلم يتمكنوا من فهم واستيعاب المحيط الاجتماعي العراقي المحافظ، فجاءوا بأفكارهم حول الإصلاح والعدالة والحرية والمساواة دون تمهيد وبشكل مباشر، ولم يلمس الناس من الشعارات المرفوعة التي تبناها الاتحاد سوى التجاوزات التي تمس مشاعر وأحاسيس العامة وعواطفهم الدينية، فالبعض من أنصار التجديد صار يجاهر بالإعلان بالفواحش ويتجاوز الأعراف والتقاليد بدعوى نبذ القديم والتوجه نحو إصلاح الأوضاع القديمة. فيما كانت التطبيقات التي اعتمدوها قد أفصحت عن الخلل الفاضح في وعيهم لمفهوم الدستور والديمقراطية فلم يتورعوا عن التدخل في سير الإنتخابات وتوجيهها وفق ما يرغبون، وجعل الإنتخابات مقصورة على بعض مراكز المدن وإهمال العشائر[٣٦]. والواقع أن التجاوزات التي وقع فيها الإتحاديون، جعلت من العسير إرجاء اللقاء الفكري والسياسي بين حزب الاتحاد والترقي وأبناء العراق، الذين وجدوا آمالهم وطموحاتهم متسقة مع

الأفكار والاهتمامات التي كانت تطرحها المنظمات العربية، مما يؤكد بالتالي أن التيار الفكري الذي ساد وبرز كان يتمثل بالاتجاه العربي الإسلامي(٣٧).

وحتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت السمة العامة للمجتمع العراقي مرتبطة بنشاط القبائل البدوية الحريصة علي عدم التبعية لأي سلطة حكومية، والمنشغلة بانتقالها الدائم وحركتها التي لاتنقطع(٣٨)، فيما حرصت القبائل المستقرة لاسيما القاطنة منها في جنوب العراق علي تكوين أحلاف قبلية لمواجهة السلطات العثمانية التي حرصت على جباية الضرائب الثقيلة منها(٣٩). إلا أن المواجهات القبلية لم تأخذ مساراً واحداً. فكثيراً ما كانت الصدامات تتجه من البادية إلى الريف، أو بين القبائل المتجاورة فيما بينها. إلا أن هجمات القبائل البدوية كانت أشد وأكثر خطورة(٤٠). وقد حاول العثمانيون السيطرة على مقاليد الأمور من خلال خلق الفوضى

والاضطراب في سياسة الأرض، حتى تم توزيع مساحات واسعة من الأراضي الجيدة للمحسوبين على السلطات العثمانية، فيما بدأت الحاشية السلطانية في وضع يديها على الأراضي الخصبة العالية الجودة وإسباغ صفة **"الأراضي السنية"** والتي تصب مواردها في الخزينة السلطانية عليها. ولم يقدم قانون الطابو حين تم تطبيقه في العراق أي حلول بل زاد الأمور تعقيداً، حين أقحم بعض أصحاب الأموال من تجاروموظفين أنفسهم في عمليات شراء سندات الملكية(٤١).

ولم تكن أحوال المدن العراقية تسير بصورة حسنة، فالإهمال وفساد الهيئة الإدارية العثمانية كانت أبرز السمات التي يمكن إسباغها عليها(٤٢). إلا أن المدن العراقية الكبرى **"بغداد،الموصل، البصرة"** لم تكن في منأى عن التيارات والحركات الجديدة التي كانت تبرز في العاصمة العثمانية أو الولايات العربية الأخرى. حيث يشير لونكرك؛ إلى أن الأفكار المنادية باستقلال العرب كانت أخف تأثيراً من الدعاية التي بشرت بأفكار جمعية الإتحاد والترقي(٤٣).

د. اسماعيل نوري الربيعي
الجامعة الأردنية ـ كلية الآداب
قسم التاريخ ـ عمان الأردن

الهوامش

(١) أحمد عزت الأعظمي، القضية العربية - أسبابها .. مقدماتها.. تطوراتها..ونتائجها، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٣١، ص١٩.

(٢) مصطفى الشهابي، القومية العربية، تاريخها..وقوامها ..ومراميها، ط٢ جامعة الدول العربية و معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦١، ص٧٠.

(٣) كان أبرز أعضاء المنتدى الأدبي : عبد الكريم الخليل من لبنان، صالح حسين من بعلبك، رفيق سلوم من حمص، جميل الحسيني من القدس، يوسف محيير من بعلبك، سيف الدين الخطيب من دمشق. والمنتدى جمعية علنية تم تأسيسها في الآستانة في عام ١٩٠٩م. أما حزب اللامركزية الإدارية العثماني فقد تم تأسيسه في القاهرة عام ١٩١٢م وأبرز أعضائه رفيق العظم من دمشق، رشيد رضا من طرابلس، اسكندر عمون من لبنان، فؤاد الخطيب من لبنان، سليم عبد الهادي من جنين، حافظ السعيد من يافا، حافظ تكلا من دمشق، علي النشاشيبي من القدس. في العام ١٩٠٩ تم تأسيس الجمعية القحطانية في الآستانة ومن أعضائها سليم الجزائري ضابط من دمشق، ألأمير أمين أرسلان والأمير عادل أرسلان من لبنان، خليل حمادة من بيروت، أمين كزما من حمص، صفوت العوّا ضابط من دمشق، علي النشاشيبي ضابط من دمشق، شكري العسلي من دمشق. وفي باريس تأسست جمعية العربية الفتاة السرية عام ١٩١١م، بجهود عوني عبد الهادي من جنين، جميل مردم من دمشق، محمد المحمصاني من بيروت، رستم حيدر من بعلبك، توفيق الناطور من بيروت، رفيق

التميمي من نابلس، عبد الغني العريسي من بيروت، انظر؛ جورج أنطونيوس، يقظة العرب - تاريخ حركة العرب القومية، تقديم د. نبيه أمين فارس، ترجمة د. ناصر الدين الأسد و د. إحسان عباس، دار العلم للملايين، ط٦ بيروت ١٩٨٠م، من ص١٨٤ - ١٨٧ .

(٤) محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، منشورات المكتبة العصرية، ط٢، صيدا - بيروت ١٩٧١م، ص٤٣٣ .

(٥) للمزيد من التفاصيل، أنظر ظافر القاسمي، مكتب عنبر - صور وذكريات من حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية، منشورات المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٦٤م.

(٦) عيسى فتوح، من تاريخ مكتب عنبر في دمشق، مجلة آفاق عربية العدد الرابع، بغداد، كانون الأول ١٩٨١م، ص ص٩٨ - ٩٩.

(٧) د. علي حافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ - ١٩٤٥م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٥، ص ص٢٨ - ٢٩.

(٨) د. سيار الجميل، إنتلجنسيا العراق - التكوين والاستنارة القومية، مجلة آفاق عربية، بغداد، أيلول - السنة السادسة عشرة ١٩٩١، ص٣٦.

(٩) د. سيار الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث - من أجل بحث رؤيوي معاصر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨١م، ص١٩٤.

(١٠) د. السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠ - ١٩٠٩م، القاهرة ١٩٧٠.

(١١) د. فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م، القاهرة ١٩٧٥م.

(١٢) د. سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث، المصدر السابق، ص٣١٨.

(١٣) د. خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية - من منظور مختلف، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت ١٩٨٩م، ص١٠٧.

Frank E. Manuel,The Realities of American - Palastine (١٤) Relations, Washington 1949, P. 12

(١٥) الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ج٢، ص١٨٣.

(١٦) نفس المصدر.

(١٧) نفس المصدر ص١٨٢.

(١٨) البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩م، ترجمة كريم عزقول، دار النهار للنشر، ط٣، بيروت ١٩٧٧م، ص ص٧٥ - ٧٦.

(١٩) البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عزقول، ط٣، دار النهار، بيروت ١٩٧٧، ص٧٧.

(٢٠) د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر - بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت ١٩٨٥م، ص٣١٨.

(٢١) رضوان السيد، مراحل الخطاب الإسلامي في جواب على التحديات خلال القرن، مجلة منبر الحوار، بيروت، العددان ٢٣ و ٢٤، السنة السابعة ١٩٩٢، ص ص١٣ - ١٤.

(٢٢) د. وجيه كوثراني، المسألة الثقافية في لبنان - الخطاب السياسي والتاريخ، منشورات بسون الثقافية بيروت ١٩٨٤م، ص ص٣٢ - ٣٣.

(٢٣) سعيد اسماعيل علي، الفكر التربوي الحديث، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٧م، ص٤٨.

(٢٤) صلاح عيسى، الثورة العرابية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٢م، ص ص١٨٦ - ١٨٧.

(٢٥) عبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢، بيروت ١٩٨٧م، ص٢٠٤.

(٢٦) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة د. بثينة البستاني، دار التقدم موسكو ١٩٧١م، ص ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢٧) جون مارلو، تاريخ النهب الإستعماري لمصر ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢م، ترجمة د. عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م، ص ص ١٥٦ـ ١٥٧.

(٢٨) إميل فهمي، التعليم الحديث دراسة وثائقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٨٠.

(٢٩) محمد صالح وسمير أبو مغني، تاريخ الصحافة العربية ـ نشأتها وتطورها، دار الكتاب العربي، الأردن ١٩٦٦م، ص١٠٨، أنظر أيضاً عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٧م، ص٤٥.

(٣٠) فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت ١٩١٣م، ج١ ص٦٩.

(٣١) مجلة الجنان، المجلد الأول، الجزء الأول كانون الثاني ١٨٧٠م.

(٣٢) صلاح عيسى، الثورة العرابية، المصدر السابق، ص١٨٦.

(٣٣) محمد عمارة، العروبة في العصر الحديث، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧م، ص١٣٤.

(٣٤) لوتسكي، المصدر السابق، ص١٧٢.

(٣٥) د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٨م، ص٥٥.

(٣٦) فيصل محمد، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨ ـ ١٩١٤م، مطابع الجمهور، الموصل ١٩٧٥، ص ص ٢٣١ ـ ٢٤٣.

(٣٧) د. محمد مظفر الأدهمي، الحركة الفكرية العربية واثرها في انتخابات مجلس المبعوثان في العراق، مجلة آفاق عربية آذار ١٩٨٩م، السنة الرابعة عشرة ص٢١.

(٣٨) مجلة لغة العرب، بغداد، المجلد الثاني، الجزء الثالث أيلول ١٩١٢، ص٨٤.

(٣٩) منشا شفيلي، العراق في سنوات الإنتداب البريطاني، ترجمة د. هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد ١٩٧٨م، ص٣٩.

(٤٠) جريدة الزوراء، بغداد، العدد ٤٦٢، ٤ جمادى الثانية عام ١٢٩١هجرية - ١٨٧٥م.

(٤١) عبد العزيز النوري، مقدمة في التاريخ الإقتصادي العربي، دار الطليعة ،ط٥، بيروت ١٩٨٧م، ص١٢٦.

(٤٢) سليمان فائق، تاريخ بغداد، ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس، بغداد١٩٦٢م، ص١٧٤.

(٤٣) لونكرك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، بغداد ١٩٤١، ص٣٣٨.



البحرين..

لمحة عن العلاقات البريطانية ـ البحرينية

كانت البحرين من اولى الأماكن التي اجتذبت اهتمام ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية The English East India Company في الخليج العربي فقد كان توماس أدوورث Thomas Adworth منهمكا في البحث عن أسواق جديدة خارج الهند ، وقد كتب عن البحرين عام ١٦١٣م ، اذ يقول : «أقترح أن تاتي الى البحرين سفينة تتراوح حمولتها بين ٢٠٠ و٣٠٠ طن ، واعتقد ان هذه المنطقة ستستهلك الحمولة كلها»(١) وعلى الرغم من اقتراح توماس هذا ، الا ان السفينة لم تات الى البحرين حيث لم تشر سجلات شركة الهند الشرقية الى أية معلومات عن البحرين حتى عام ١٦٢٥م ، واذا كانت هناك اشارات فإنها ماخوذة من سجلات برتغالية كانت لاتزال موجودة ، وهذه المعلومات كانت تدور حول اللؤلؤ ومصائده في البحرين(٢) .

في الوثائق البريطانية

بقلم

الدكتور محمد كريم ابراهيم ○ طالب جاسم محمد الغريب

ومن خلال تحليلنا لمقترح توماس نستنتج ان الاهتمام الأول بالبحرين كان منصبا على الناحية التجارية بالدرجة الأولى بغية تصريف البضائع البريطانية في أسواقها . غير ان هذا الاهتمام سرعان ما تبلور الى اهتمام عسكري عندما بدأ الساسة البريطانيون يفكرون باتخاذ البحرين قاعدة لحماية الاسطول البريطاني في الخليج العربي حيث ظهر ذلك عام ١٧٠٠م ، عندما اقترح مستر أوين Mr. Owen وكيل الشركة : أن موقع البحرين لايضمن للشركة مجرد نصيبها من منتجات إيران فقط ، بل كذلك يمكن طوافات الشركة المسلحة من مراقبة تجارة الشركة في منطقة الخليج العربي(٣) .

ازداد الاهتمام بالبحرين بعد عام ١٧٥٠م وبدأت الحاجة ملحة لدى الساسة البريطانيين في الخليج العربي باتخاذها مركزا سياسيا بديلا عن بوشهر ، وخاصة عندما شعرت شركة الهند الشرقية بأن هناك هجوما على بندر عباس من قبل الفرس لذا طلب ممثلو الشركة الانتقال الى البحرين للقضاء على الاسطول الفارسي هناك(٤) .

وعلى الرغم من هذه المحاولات ، الا ان اول اتصال رسمي بين السلطات

البريطانية وحكام البحرين كان عام ١٨١٦م ، حينما قام النقيب وليم بروس William Bruce المقيم البريطاني في الخليج العربي بزيارة للبحرين[٥] وخلال هذه الزيارة تم عقد اتفاقية صداقة في ١٣ حزيران من العام نفسه ، الا ان هذه الاتفاقية لم توضع موضع التنفيذ اذ ان بروس كان قد عقدها دون استشارة حكومته[٦]

وفي عام ١٨٢٠م تجنبت عشر سفن من اسطول القواسم العربي التعرض لتدمير الاسطول البريطاني في الخليج العربي في رأس الخيمة ، فالتجأت الى البحرين ، وقد اتخذ المقيم البريطاني من هذه المحاولة ذريعة للتدخل في شئون البحرين ، فأوعز الى الكابتن فرنسيس لوتش Looch اتخاذ الاجراءات التي من شأنها مطالبة البحرين بمنع استخدام اراضيها ملجأ لسفن القواسم ، وقد ارسل لوتش بالفعل سفينتين هما : ايدن Eden وكيرلو Curlew الى البحرين واستطاع اقناع شيخ البحرين بذلك ، وفي الوقت نفسه توصل الى اتفاق مع شيخ البحرين يقضي بألا يسمح لأي قارب باللجوء الى مينائه ما لم تسمح له السلطات البريطانية بذلك ، وقد أوضح لوتش ان هذه الاتفاقية لم تكن الا اتفاقية مؤقتة وانها جاءت كمحاولة للقضاء على «القرصنة» في الخليج العربي[٧] .

لم تدم هذه العلاقة طويلا وكادت ان تسوء عام ١٨٢٢م ، عندما وقع بروس المقيم البريطاني اتفاقية بشأن البحرين مع وزير حاكم شيراز (لم يذكر إسمه) دون تفويض من حكومته(٨) .

لم توافق حكومة بومباي على هذه الاتفاقية وقد دحضها الساسة البريطانيون ، ووصفوها بأنها أمر اسطورى لا يقبله العقل ولا يمكن تصديقه ، ارتكبه المقيم البريطاني في بوشهر[٩] ، كما ان حكومة بومباى أبلغت ايران ان الحكومة البريطانية لا توافق على عمل مقيمها لأنها لا تجد دليلا واحدا يثبت صحة الاتفاقية[١٠] ، كما طمأنت شيخ البحرين بأنها لا تعترف بذلك .

وبسبب هذه الاتفاقية تم عزل بروس وحل محله مكلود Mcleod الذي زار البحرين عام ١٨٢٣م ، وكان الهدف من هذه الزيارة طمأنة شيخ البحرين بأن الاتفاقية السابقة ملغية ، وان الحكومة البريطانية لم تغير سياستها نحوه .

غير ان العلاقة بين بريطانيا والبحرين لم تدم طويلا بهذه الصورة ، اذ ان الخلافات التي حدثت بين آل خليفة حكام البحرين بعد هذا التاريخ والاعتداء على الوكيل المحلي للحكومة البريطانية في البحرين جعلت هذه العلاقة تتجه نحو القطيعة بين الطرفين ، ورغم ذلك كله فإن الحكومة

البريطانية كانت تراقب البحرين عن كثب ، فعندما شعرت بنوايا خورشيد باشا تجاه البحرين[١١] ، وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة لأن تسبق تعليمات حكومة لندن بشأن السياسة التي يجب اتباعها منتهزة بذلك وجود الاسطول - البريطاني في مياه الخليج العربي ، ففوضت قائده السير ف. ميتلاند **F. Maitland** بأن يستخدم كل امكاناته وبقوة لمنع قوات خورشيد باشا من التقدم وخاصة إذا توجهت هذه القوات لاحتلال البحرين ، كما فوضت الامبرالية البريطانية قائد الاسطول بأن يقدم لشيخ البحرين كل معونة تمكنه من المقاومة ضد خورشيد باشا[١٢] .

في ١٨ أبريل (نيسان) عام ١٨٣٩م تقدمت حكومة الهند بخطوات أخرى أكثر جرأة تجاوزت الموقف الذي اتخذته منذ البداية فخوّلت قائد بحريتها بأن يؤكد لشيخ البحرين انه تحت حماية مؤقتة من جانب اسطول بريطانيا في الخليج العربي ، وفي الوقت نفسه قام السير ف. ميتلاند بزيارة البحرين على السفينة ولسلي **Wellesley** بصحبة الكابتن إدموندز **Edmunds** مساعد المقيم السياسي وخلال هذه الزيارة قدم الشيخ عبدالله تعهدا مكتوبا من جانبه بألا يضع نفسه تحت سلطة أو حماية دولة أجنبية - قبل استشارة المقيم البريطاني[١٣] .

بعد شهرين فقط تغير موقف شيخ البحرين تجاه بريطانيا عندما اعترف بسيادة العثمانيين ، وتعهد بأن يدفع ضريبة سنوية مقدارها ٥٠٠٠ روبية شريطة أن تبقى السلطة الداخلية كلها بيده ، والا يرسل خورشيد باشا أي ممثل مقيم في البحرين[١٤] وقد برر شيخ البحرين هذا الموقف تجاه بريطانيا بأن الاخيرة رفضت ابداء النصح والمساعدة له قبل ثلاثة أشهر عندما كان في حاجة اليهما[١٥] ، غير ان وجهة نظر المقيم البريطاني تجاه موقف شيخ البحرين تتلخص بأنه عمل وموقف عدائي ضد بريطانيا العظمى .

استمر هذا الموقف حتى عام ١٨٤٠م عندما انسحبت القوات المصرية من الاحساء ، غير انه بسبب الخلاف الذي حدث بعد هذه الفترة بين الأسرة الحاكمة ، فإن بريطانيا منعت سيد عمان وشيوخ الساحل العربي والكويت من الاشتراك في هذه الخلافات

في عام ١٨٤٧م اشتكى شيخ البحرين من فداحة الضرائب وغيرها من العوائد التي فرضت على سفنه في ميناء بومباي ، مقارنة مع تلك المفروضة على سفن ايران ومسقط ، واعترف بأنه يميل - نتيجة لهذه المعاملة السيئة - لأن يحذو حذو شيخ الكويت بقبول العلم العثماني[١٦] . وعلى الرغم من انهاء هذه المشكلة بعد

No 297 dated Bahrain 9th Jemadeeool Sanee 1288/26 August 1871.
Translated purport of a letter from Mirza Abool Casuim, Moonshee to Residence in The Gulf.

Since the return of Gunboat 'Hugh Rose' to Bahrain I have joined her. I land daily to collect information and return at sunset to inform Capt. Guthrie. Today according to custom, when I landed I saw a crowd collected round the house of the late Ali Bin Khuleefa at Menama and in which house the present chief, Esau bin Ali, now resides. On enquiry I learnt that Abdul Azeez Bin Saud was visiting Shaikh Esau. I remained at a distance until Abdool Aziz arrived on horseback with ten attendants following and four in front, together with a crowd of attending Badouins. Abdool Azeez is a tall lad and goodlooking. They say his age is more than that which I formerly reported, and he looks like a chief. Abdool Azeez then entered Esa Bin Ali's house; as far as I could learn he, Abdool Azeez, defrays his own expenses. An opportunity offering I will forward to you these notes.

العلم ١٩٤/٢٩٧/١٨٧١م ٩ جمادي الثاني ١٢٨٨/٢٦ أغسطس ١٨٧١

نص رسالة من ميرزا ابو القاسم (الكاتب) الى المقيم في الخليج* .

بعد عودة السفينه المسلحة (هيوغ روز) الى البحرين قد التحقت بها . اقوم يوميا في الجزيرة كل يوم لا جمع المعلومات وارجع الى متن السفينه مساء كي أخبر الكابتن (جوثري) بما حصلت عليه من المعلومات .

عندما نزلت اليوم على الجزيره كالعادة رأيت حشدا كبيرا حول منزل الراحل علي بن خليفه بالمنامه الذي يسكنه حاليا الرئيس الحالي الشيخ عيسى بن علي .

لقد قمت بتحقيق الامر بما حدث وعلمت بانهم كانوا في انتظار الامير عبد العزيز بن سعود فوصل عبد العزيز بن سعود بعد قليل وهو يركب حصانا ومعه عدد من الخدم اربعة منهم في الامام وعشرة في الوراء ويرافقه حوالي مائة من البدو . رأيت ان عبد العزيز بن سعود شابا طويل القامه جميل الوجه يقول الناس انه اكبر سنا مما اخبرتكم عنه سابقا وله شخصية مهابة ورغم صغر سنه تبدو عليه سمات الرئاسة والسيادة .

دخل عبد العزيز الى منزل الشيخ عيسى بن علي فيما بعد . سمعت ان عبد العزيز متمتع باكتفاء ذاتي يدفع نفقاته بنفسه . واذا تتاح لي الفرصة سارسل لكم هذه المذكرات .

---

* هو الأمير عبدالعزيز بن سعود بن فيصل المتوفى ١٩٠١م ، انظر لوريمر ٣ / ٢

نص رسالة من ميرزا أبو القاسم (الكاتب) إلى المقيم في الخليج

من حمد بن عيسى آل خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

بما ان مستشار حكومتي وهو حضرة سي درنمبل بلكريب بعد ما قضى
سنتين وشهر واحد في خدمات حكومتي طلب مني الرخصة لتبديل الهوى لمدة خمسة اشهر
وحيث اني قبلت رخصته لهذه المدة ورايت من الواجب اعطائه هذه الورقه بصفة استشهاد
مني لكي رضا العموم فيما قام به من الاعمال الجليله في اصلاح البلاد وحسن السلوك فبالأصالة
عن نفسي وبالنيابة عن حكومتي اشكره على حسن خدماته في رقي البلاد وراحة العموم واني
ارجو الله التوفيق للجميع ... شهر شوال ١٣٤٦

حمد بن عيسى آل خليفة

راشد بن محمد بن ...

خليفة آل خليفة

From Hamad Bin Isa Al Khalifa

In the Name of God, the Beneficent, the Merciful

Whereas the Adviser to the Government, Mr C. Dalrymple Belgrave, after having spent 2 years and one month in serving my government, has requested permission for leave for change of weather for five months and whereas I have acceded to this period of leave I consider it appropriate to issue to him this certificate in recognition of his meritorious service in introducing reforms in the country and his exemplary conduct. Both personally and on behalf of my Government I thank him for his good services in the progress of the country and public welfare and pray that God may bless all

28 Shawal 1346

Seals with signatures

Rashid Bin Mohammed Al Khalifa

الوثيقة ١١٣.

موافقة بتاريخ ٢٨ من شوال ١٣٤٦هـ من الشيخ حمد بن عيسى على إجازة لبلجريف وترجمتها

AL WATHEEKAH -113

تعديل العوائد ، الا ان حكومة الهند كانت ترى انه من الأفضل عدم التدخل من جانب أية دولة أجنبية مستقبلا في شئون الخليج العربي بصورة عامة والبحرين بصورة خاصة ، مادامت الحكومة البريطانية لا تستطيع تحقيق أهدافها على مستوى أوسع في هذه المنطقة ، لذلك جاءت توصية مجلس ادارة شركة الهند الشرقية منسجمة مع هذه السياسة ، حيث أكدت على وجود القوات البحرية البريطانية في الخليج العربي ، لمقاومة أية محاولة عدائية تتعرض لها البحرين(١٧) .

وبسبب الخلاف المستفحل بين الأسرة الحاكمة في البحرين عام ١٨٥٩م ، طلب الشيخ محمد في نهاية هذا العام الحماية من الدول الأجنبية كالدولة العثمانية ورفع العلم العثماني فلم تشعر بريطانيا بارتياح لموقف شيخ البحرين ، وقد رأى السير هـ. رولنسون **H. Rawlinson** الوزير البريطاني المفوض في طهران ان الخطوة التي اتبعها الحاكم أخطر مما يراها المقيم العام ، أما حكومة بريطانيا فقد أوصت فيما بعد بضرورة الاعتراف باستقلال البحرين وبوجوب المحافظة على مثل هذه الاتفاقيات الخاصة بالمصالح التجارية والانسانية والامن العام مما يعقد بين البحرين وحكومة بريطانيا ، وقد ترجمت ذلك في اتفاقية فبراير عام ١٨٦١م(١٨) .

وعلى الرغم من اختفاء وكلاء الدولة العثمانية وفارس من البحرين، الا ان بريطانيا ظلت تراقب وضع البحرين عن كثب وتحاول السيطرة الكاملة على شئونه، فقد اغتنمت بريطانيا فرصة محاصرة ساحل الاحساء من قبل شيخ البحرين في مارس ١٨٦١م، فقام قائد الاسطول البريطاني في الخليج العربي دروت (Drought) بالاستيلاء على سفينتين من افضل سفن البحرين الحربية والضغط على شيخها للدخول في مفاوضات جديدة انتهت بتوقيع اتفاقية ١٨٦١م (١٩)، وكان لهذه الاتفاقية اهمية كبيرة لان البحرين اصبحت وكأنها محمية بريطانية، كما انها افسحت المجال امام البريطانيين للتدخل في شئون البحرين الداخلية.

استمرت بريطانيا مستغلة هيمنتها على منطقة الخليج العربي بواسطة قوتها العسكرية وعدم تكافؤها مع قوة البحرين، بفرض عدد من الاتفاقيات خلال الاعوام: ١٨٨٠، ١٨٨٢، ١٨٩٢، الا انها خلال بداية القرن العشرين ركزت اهتماما كبيرا على البحرين كنقطة انطلاق لسياستها في الامارات بعد

ذلك، وكان اول عمل قامت به لتعزيز هذه السياسة هو انشاء وكالة سياسية (Political Agency) حيث تم تعيين موظف بريطاني بصفة مؤقتة بدلا من ممثلها المحلي، وبعد نهاية عام ١٩٠٠م اصبحت الوظيفة دائمة، حيث رشح لهذا المنصب ج.س جاسكين J.C.Gaskin مساعدا للوكيل السياسي في البحرين، ثم تبعتها خطوة اخرى استبدلت فيها الوظيفة من مدنية الى عسكرية حيث أنيطت هذه المهمة بالنقيب ف.ب. بريكلي F.B.Pricleeh [٢٠] استمرت العلاقات البريطانية - البحرينية على هذه الحالة حتى عام ١٩١٣م عندما قطعت شوطا ابعد في احكام سيطرتها حين اعلنت قيام «مجلس البحرين التنفيذي» (Bahrain Order of Council) وذلك لتطبيق نفس الانظمة المتبعة في الهند على البحرين، على ان تكون تابعة للمقيم البريطاني في بوشهر بعد ان اعتبر المجلس ان البحرين ضمن الممتلكات البريطانية، وبدأ المجلس في تطبيق القوانين المدنية والجنائية البريطانية المطبقة على الهند في البحرين [٢١].

وقد اتخذت بريطانيا خطوة اخرى عام ١٩٤٦م عندما نقلت دار الاقامة التابعة للمقيم البريطاني الى البحرين واصبح المقيم الذي يحمل لقب «سفير» يساعده وكلاء سياسيون في منطقة الخليج العربي، ولقد كان المقيم حتى عام ١٩٤٩م يتبع وزارة المستعمرات الا انه بعد هذا التاريخ صار تابعا لوزارة الخارجية البريطانية [٢٢].

من خلال الاستعراض السريع لعلاقة بريطانيا بالبحرين وجدنا ان هذه العلاقة قد تطورت من علاقة تجارية الى حماية سياسية ثم الى التدخل مباشرة في شئون الجزر الداخلية للبحرين.

مظان واصول الوثائق البريطانية عن البحرين :

بعد الاستعراض التاريخي لعلاقة بريطانيا بالبحرين منذ عام ١٦١٣م نطرح السؤال التالى: أين نجد الوثائق التى تبحث في تاريخ البحرين السياسي والاجتماعي والاقتصادي ؟

في الوثائق البريطانية التى يحتفظ مركز دراسات الخليج العربي (جامعة البصرة) بقسم منها ؟

يمكن ان نوضح ذلك من القاء الضوء على المظان التى تعود اليها تلك الوثائق، وهي:

الارشيف الوطني الهندي

Indian National Archives

تأسس هذا الارشيف عام ١٨٦١م في الهند بعد ان انيطت

مهمته الى فورست Forrest وعلى الرغم من ان وثائق هذا الارشيف تعود الى عام ١٧٤٨م [٢٣]، وتستمر حتى عام ١٩٤٧م عندما استقلت الهند، الا ان الوثائق المحفوظة في مركز دراسات الخليج العربي (جامعة البصرة) ذات العلاقة بالبحرين بصورة خاصة ترجع اقدمها الى ١٨٧٠م، وهي الوثيقة المرقمة (١٥٦) حول شئون البحرين، وتحتوي على معلومات حول بريطانيا عن مطالبة الدولة العثمانية بتبعية البحرين لها، ومع ذلك فهنالك وثائق خاصة بمنطقة الخليج العربي في هذا الارشيف تتضمن معلومات عن البحرين يرجع تاريخها الى عام ١٨٠٩ تحت الارقام: ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، وهي عبارة عن ثلاث رسائل موجهة الى العميد مالكولم Malcolm ارسلت من قبل المقيم البريطاني في مسقط دافيد ستون David Seton (١٨٠١ ـ ١٨٠٩م)، فيها معلومات حول الاحداث في منطقة الخليج العربي ويرجع تاريخ هذه الرسائل الى عام ١٨٠٩م، أما احدث وثيقة محفوظة في مركز دراسات الخليج العربي (جامعة البصرة) في هذا الارشيف فهي تلك التى تدور معلوماتها حول البحرين عام ١٩٠٩م.

سجلات وزارة الهند

India Office Records

بعد انتهاء مسئوليات شركة الهند الشرقية عام ١٨٥٨م انيطت الى وزارة الهند التى استمرت تمارس تلك المسئوليات في منطقة الخليج العربي حتى عام ١٩٤٧م [٢٤] اي بعد استقلال الهند وانتهاء دور تلك الوزارة.

ومن المعروف ان هذه الوزارة كانت تدار اعمالها في منطقة الخليج العربي من قبل حكومة الهند، وكانت تتصل بالخليج العربي عن طريق المقيميات والوكالات السياسية في هذه المنطقة، ومن اهم تلك المؤسسات التى احتوى المركز على قسم من وثائقها وخاصة التى تخص البحرين هي:

أ ـ المقيمية السياسية فى بوشهر: (١٧٦٣ ـ ١٩٤٦) [٢٥]

R/15/1, Political Residency Bushire

ان اول وثيقة تتحدث عن البحرين تعود الى هذه المقيمية محفوظة في مركز دراسات الخليج العربي، ترجع الى عام ١٨٥٢م وتقع تحت رقم: ١/١٣٠، وهي مصورة على مايكزوفيلم، وتدور معلوماتها حول تجارة الرقيق في البحرين، اضافة الى الساحل العربي ومسقط، اما احدث

وثيقة تعود الى هذه المقيمية فيرجع تاريخها الى عام ١٩٠١م وتتناول الاحداث السياسية في البحرين من كانون الثاني ١٨٩٧م الى تشرين الثاني ١٩٠١م.

ب - الوكالة السياسية في البحرين (١٩٠٠ - ١٩٤٧م):

R/15/2, Political Agency Bahrain 1900 — 1947

على الرغم من افتتاح هذه الوكالة عام ١٩٠٠م (٢٦)، الا ان اقدم وثيقة محفوظة في المركز تعود لهذه الوكالة فيما يخص البحرين ترجع الى عام ١٩٠٤م، وتتضمن معلومات حول التعاون بين الشيخ احمد بن محمد آل خليفة وموظفي الدولة العثمانية وموقف بريطانيا من ذلك، أما احدث وثيقة تعود الى هذه الوكالة فهي تتعلق بأمور التجارة وخاصة تجارة المحار، ويرجع تاريخها الى عام ١٩١٨م.

ومن الجدير بالذكر ان معظم الوثائق المحفوظة في المركز والتى تعود الى هذه الوكالة، لا تخص البحرين فقط، وانما تحتوى على معلومات عن الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاقطار الخليج العربي، ويرجع سبب ذلك الى ان هذه الوكالة اصبحت ذات اهمية كبيرة بالنسبة لبريطانيا، بحيث شملت مسئولية الوكيل البريطاني في البحرين جميع مناطق الخليج العربي.

وهنا يجب علينا ان نبين ان وثائق الوكالات الاخرى مثل الوكالة السياسية في الكويت Political Agency Kuwait وكذلك الوكالة السياسية في مسقط Political Agency Muscat والقسم السياسي السرى Political And Secret Departement تحتوى على معلومات تخص البحرين، الا ان مركز دراسات الخليج العربي لم يحظ بالحصول عليها، ونتمنى من المراكز الاخرى وخاصة في البحرين ان تتبنى فكرة جمع الوثائق التى تعود لتلك المؤسسات لافادة الباحثين والمتخصصين في دراسة تاريخ الخليج العربي منها.

وزارة الخارجية البريطانية:

أخذت وزارة الخارجية البريطانية زمام السلطة الفعلية من حيث الاشراف على المؤسسات السياسية القائمة بشئون الخليج العربي منذ سبعينات القرن التاسع عشر (٢٧) والوثائق المتوفرة في مركز دراسات الخليج العربي والتى تعود الى هذه الوزارة، ترجع الى فترة متأخرة جدا ويمكن تحديدها بعام ١٩٤٦ وتعود

إلـى قسـم المراسـلات الخـارجيـة Fore ign Correspondence.

ان اقدم وثيقة تخص البحرين وتتضمن تقارير الاستخبارات البريطانية في البحرين تعود الى تشرين الثاني ١٩٤٦م اما احدث وثيقة - بهذا الخصوص - فهى تلك التى تتناول المراسلات حول فتح قنصلية عراقية في البحرين عام ١٩٥٠م.

طبيعة الوثائق والمعلومات:

بالامكان تقسيم الوثائق من حيث طبيعتها الى قسمين:

أولا: التقارير:

يمكن تقسيم التقارير التى كانت ترفع من قبل المقيم السياسي الى وزارة الهند ومن ثم الى وزارة المستعمرات البريطانية الى ثلاثة اقسام هي:

أ - التقارير الشهرية:

وهي تقارير شهرية ترسل من قبل المقيم السياسي في البحرين الى وزارة الخارجية البريطانية تتناول شئون منطقة الخليج العربي خلال شهر كامل، وتفرد هذه التقارير فقرة حول البحرين من حيث نشاط الوكالة السياسية في البحرين ونشاط شيخ البحرين الشخصي وعلاقتـه مع المسئولين البريطانيين وزيارة بعض الاجانب الى البحرين والتطورات والاحداث السياسية التى حدثت خلال هذه الفترة.

ب - التقارير السنوية:

وهي تقارير سنوية يرفعها المقيم السياسي في البحرين الى وزارة الخارجية البريطانية مطبوعة على الآلة الكاتبة ومرتبة حسب الفقرات والارقام وتغطى معلوماتها فترة زمنية تمتد من ١/١ الى ١٢/٣١ من كل عام، ويتناول كل تقرير عددا من الفقـرات التى تخص البحرين، وبالامكان اجمالها للوقوف على طبيعة المعلومات الواردة فيها، كما يلي:

١ - الأمور العامة:

تتناول التقارير في هذه الفقرة ما يخص الـدوائـر والمـؤسسـات البريطانية في منطقة الخليج العربي والشرق الاوسط مثل نشاط المقيميات والوكالات السياسية كذلك تعرج على نشاط الدائرة السياسية للشرق الاوسط في القاهرة، وفي بعض الاحيان نلاحظ ان هذه الفقرة لا تتعدى بعض المعلومات القليلة جدا وخاصة عندما لا تكون هناك معلومات جديدة يرفعها المقيم السياسي الى المسئولين البريطانيين وفي بعض التقارير تقسم هذه الفقرة الى فقرات جانبية لكثرة المعلومات، على سبيل المثال انتشار الكوليرا، المواصلات، الاقتصاد والبريد.. الخ، وتجدر الاشارة الى ان جميع هذه المعلومات تخص فقط نشـاط المؤسسـات البريطانية.

٢ ـ آل خليفة:

ترد في هذه التقارير معلومات عن آل خليفة، تتناول القضايا الشخصية الخاصة بهم، وتبدأ بالشيخ الحاكم من حيث صحته خلال العام وزياراته وعلاقاته مع المسئولين البريطانيين ومع شيوخ اقطار الخليج العربي، ثم يأتى التقرير على القضايا الشخصية التى تتعلق بأفراد الاسرة الحاكمة: أخوة الشيخ، اولاده وغيرهم.

٣ ـ الثقافة:

هناك فقرة في التقارير الادارية تخص التعليم من حيث طبيعة المدارس وعددها، الطلاب وعددهم، المدرسين وجنسياتهم والبعثات التى تم ارسالها خلال كتابة التقرير الى بريطانيا ولبنان، ثم تعطي التقارير احصائية بعدد الاولاد والبنات والمدارس التى تم افتتاحها والتى اغلقت في ١/١ من كل عام ومقارنتها في ١٢/٣١ من العام ذاته.

٤ ـ الزراعة:

تتناول التقارير الادارية شئون الزراعة في البحرين من حيث الحقول الزراعية وموقف بريطانيا، ومساهمة المسئولين البريطانيين في هذا المضمار.

٥ ـ الانشاءات:

تتناول التقارير كذلك التطور الحضاري من حيث الانشاءات والبنايات التى تم انشاؤها خلال كتابة التقرير في البحرين، وخاصة مرافق الدولة ومؤسساتها.

٦ ـ البواخر:

ترد في التقارير معلومات تخص البواخر التى تؤم ميناء البحرين من حيث مجموع تلك البواخر خلال اعداد التقرير وجنسياتها وحمولاتها، فمثلا يذكر تقرير عام ١٩٤٩ ان عدد السفن التى وصلت الميناء ٤١١ سفينة شحن للبضائع و (٥٣٤) سفينة شحن بترول موزعة على (٢٧٥) سفينة بريطانية و (٢٣٣) سفينة بنمية و (١٦٨) سفينة أمريكية والبقية موزعة على بعض الدول غير المذكورة، كما اورد التقرير مقدار حمولة تلك السفن فقد بلغت حمولة البضائع الواردة الى الخليج العربي خلال عام ١٩٤٩م ١٧٢,١٠٤ اطنان من البضائع المختلفة، أما الصادرات فبلغت ١١٠,٠٤٠ طن بضائع مختلفة، و٦,١٤٣,٢٥٨ طن بترول.

٧ ـ المحاكم:

تورد التقارير معلومات عن المحاكم، وهذه المعلومات مقسمة على قسمين:

أ ـ محاكم الوكالة Agent Courts

وهى المحاكم التى تختص بالقضايا التى ترفع من قبل البريطانيين الموجودين هناك والاجانب حيث ذكر التقرير عدد القضايا المرفوعة وعدد الجرائم وغيرها من الامور.

ب - المحاكم المحلية:
وهي التى تخص مواطني البحرين وتفصل في قضاياهم.

٨ - الشرطة:
اوردت التقارير فقرة خاصة للشرطة حيث تناولت اعدادهم وجنسياتهم والتى توزعت من خلال تلك التقارير كالاتى: بريطانيون، هنود، مواطنون موزعون على المراكز التالية: المنامة، المحرق، مخافر الحدود، القاعدة البحرية، قاعدة الطيران الملكية البريطانية.

٩ - الاقتصاد :
تتناول التقارير الحالة الاقتصادية من حيث التجارة والاعمال ومكانة البحرين السوقية في منطقة الخليج العربي وعلاقتها مع الهند كما تتناول التقارير في هذه الفقرة: التحويل والتغييرات التي تتعلق بتداول العملة.

١٠ - الصحة :
للصحة نصيب في هذه التقارير، فقد تورد معلومات حول انتشار الامراض واثارها ونشاط المستشفى الامريكي في البحرين وحالة المستشفيات العامة وتعطي احصائيات حول عدد المرضى الراقدين في تلك المستشفيات والخارجين منها وعدد العمليات التي اجريت خلال كتابة التقرير.

١١ - شركة النفط البحرينية :
تناولت التقارير شركة النفط الوطنية البحرينية المحدودة من حيث الكادرالوظيفي والمشاريع العمرانية والتوسعات والتطورات التي حدثت خلال فترة اعداد التقرير كما أنها تتناول أيضا عدد الموظفين والعمال وجنسياتهم، ومن خلال تتبع تلك التقارير نلاحظ ان معظم الكادر كان من بريطانيين، وكنديين ومن جنوب افريقيا واوربيين وهنود وباكستانيين وبحرينيين، وهناك عدد لا بأس به من مواطني الاقطار المجاورة، واذا تتبعنا النسبة نجد ان البحرينيين لا يشكلون الا نصف ذلك العدد، غير ان تلك النسبة أخذت في الزيادة بعد عام ١٩٤٩م.

١٢ - البحرية الملكية البريطانية :
تفرد هذه التقارير فقرة للبحرية الملكية البريطانية من حيث : تحرك الاسطول البحري في منطقة الخليج العربي، وكذلك تحرك المسئولين العسكريين وزياراتهم الى اقطار الخليج العربي.

١٣ - الاسطول الامريكي :
كما تفرد التقارير فقرة للبحرية الملكية كذلك تفرد للاسطول الامريكي في منطقة الخليج العربي فقرة خاصة به من حيث تحركه وتحرك مسئوليه في المنطقة.

١٤ - البحرين وفلسطين :
ظهرت في تقارير عام ١٩٤٧م وما بعدها فقرة جديدة عن «البحرين

وفلسطين» وهي تتناول الحرب العربية - الاسرائيلية وموقف البحرين القومي من القضية الفلسطينية سواء على الصعيد الرسمي او الشعبي، فقد تبرع شيخ البحرين بـ: لك ربية (مائة الف روبية) الى منظمة غوث اللاجئين الفلسطينية كما ساعد الطلبة الفلسطينيين الذين كانوا يدرسون في الخارج ممن جردوا من المأوى بسبب الحرب العربية - الاسرائيلية، حيث ارسلت حكومة البحرين مبالغ لهم، كما رفض الشعب البحريني الوجود الاسرائيلي حيث وقف ضد كل من يتعامل مع الكيان الصهيوني، ولأهمية هذه الفقرة نورد ترجمة لتقرير عام ١٩٤٩م:

«تبرع شيخ البحرين لك ربية الى منظمة غوث اللاجئين الفلسطينية في شباط وفي آذار نقل ان بعض اليهود المحليين استلموا رسالة من الجمعية الاسرائيلية في فرنسا تطالب اليهود المحليين الذين لديهم الرغبة في الذهاب الى اسرائيل لتزويدها بتفاصيل اعمارهم وتفاصيل اخرى تتعلق بسفرهم، وفعلا ترك بعض اليهود البحرين الى اسرائيل في بداية السنة لكنهم ندموا لفعلهم ذلك، ومالوا إلى الرجوع ان تم الترتيب لذلك، بيد ان حكومة البحرين عارضت استقبالهم معارضة شديدة ذلك لانهم تركوا البحرين وغادروها الى اسرائيل.

استجابة الى مناشدة جمعية الطلبة العالمية لابداء المساعدة للطلبة العرب في انكلترا الذين باتوا مجردين من المأوى بسبب الحرب العربية - الاسرائيلية، ارسلت حكومة البحرين صكا الى المنظمة مقداره (٥٠) باون في مايو (ايار).

وهناك فقرات في التقارير تتضمن معلومات حول البريد والتليفونات والخدمات العامة والقضايا الترفيهية.

ج - تقارير الاستخبارات البحرينية:

وهي تقارير سرية ترسلها المقيمية السياسية في البحرين الى وزارة الخارجية البريطانية وهي دورية نصف شهرية، تتكون من فقرات بعضها ثابت والبعض الاخر متغير حسب الحوادث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تقع خلال فترة كتابة التقرير.

اما المعلومات التي تحتويها هذه التقارير فهي:

١ - العلاقات الدبلوماسية:

تركز التقارير على نشاط المسئولين البريطانيين في منطقة الخليج العربي والوكيل السياسي في البحرين من حيث تحركاتهم في المنطقة. وتجدر الاشارة الى ان هذه التقارير لم تتخذ من المنصب أساسا في سرد الحوادث التاريخية بل تتخذ من التتابع الزمني أساساً لذلك فهي تذكر مثلا نشاط

الوكيل السياسي في البحرين قبل المقيم السياسي لقيام الاول بالنشاط قبل الثاني، علماً ان مسئولية المقيم اعلى من الوكيل وان الاخير تابع له.

٢ ـ الشئون السياسية المتعلقة بالبحرين :

هناك عدة فقرات تحتويها التقارير تخص الشئون الداخلية للبحرين وعلاقاتها مع أقطار الخليج العربي والعالم الخارجي اضافة الى الاوضاع الداخلية لها.

٣ ـ الشئون السياسية للامارات العربية :

تهتم التقارير بالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية اذ تفرد فقرات لكل من: دبي، الشارقة، رأس الخيمة، عجمان، ام القوين، البريمي، ونلاحظ من خلالها ان الاستخبارات تورد معلومات حول راس الخيمة، ومعلومات عن دبي من خلال زيارة والي لواء (مسقط) إلى دبي واجتماعه مع شيخها.

٤ ـ الشئون الاقتصادية البحرينية :

تفرد التقارير كذلك فقرة للنشاط الاقتصادي وخاصة التجاري، منه حيث تورد معلومات حول البواخر وجنسياتها ومقدار حمولتها الواردة والصادرة التي تؤم ميناء البحرين وهي من الفقرات الثابتة سواء في التقارير السابقة او اللاحقة.

٥ ـ الانواء الجوية :

تفرد التقارير فقرة عن الانواء الجوية وهي من الفقرات الثابتة حيث تذكر فيها اعلى معدل لدرجة الحرارة وادنى معدل لها، وكذلك بالنسبة لمعدل نسبة الرطوبة خلال فترة التقرير.

ثانيا : المراسلات

هنالك الكثير من الوثائق التي تدخل هذا الباب وتتضمن معلومات اوردتها التقارير الادارية بشيء من الايجاز بينما تتسع هذه المعلومات في هذه المراسلات، وبعض المعلومات التي اوردتها هذه المراسلات غير موجودة في التقارير الادارية، تتناول المراسلات بين المقيم السياسي في الخليج العربي ووزارة الخارجية البريطانية او بين المقيمية السياسية والوكالة السياسية في البحرين او بين الوكالة وآل خليفة وبين المقيمية والاخيرين.

اما بالنسبة لطبيعة المعلومات التي اوردتها هذه المراسلات فهي معلومات تخص الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في البحرين وكيفية معالجتها من قبل الحكومة البريطانية سواء في الهند، او لندن، كما انها تحتوى على معلومات تخص آل خليفة وعلاقتهم بالاقطار

المجاورة، ومن الجدير بالذكر ان وثائق عام ١٩٤٧م فصاعدا تدور معلومات البعض منها حول موقف الحكومة البحرينية والشعب البحريني المتضامن مع القضية الفلسطينية وشجبه لاقامة كيان صهيوني في فلسطين، اضافة الى ذلك فانها تورد معلومات حول ميزانية الوكالة ونشاطها وما يستجد من ذلك، واخيرا

فان المعلومات التي توردها هذه المراسلات هي اكثر تركيزا وتوسعا مقارنة مع التقارير الادارية السالفة الذكر.

الدكتور محمد كريم ابراهيم
كليه الآداب - جامعة البصرة
طالب جاسم محمد الغريب
كلية التربية - جامعة البصرة

الوثائق ومحتوياتها

الارشيف الوطني الهندي :

١ ـ 11-12-1816 شئون الخليج العربي لعام ١٨١٦/٧٣٦ مايكروفيلم
٢ ـ 15-18-1819 أوضاع الخليج العربي لعام ١٨١٩/٧٣٦ مايكروفيلم
٣ ـ 14-20-1819 الاوضاع في الخليج العربي لشهر مايس (مايو) ١٨١٩/٧٣٦ مايكروفيلم
٤ ـ 13-14-1819 الاوضاع في الخليج العربي لشهر مايس ١٨١٩/٧٣٦ مايكروفيلم
٥ ـ 1-3-1822 الاوضاع في الخليج العربي لشهر ايلول ١٨٢٢/٧٣٦ مايكروفيلم
٦ ـ 4-1823 الاوضاع في الخليج العربي لشهر حزيران ١٨٢٣/٧٣٦ مايكروفيلم
٧ ـ 30-1839 الاوضاع في الخليج العربي لشهر ايلول ١٨٣٩/٧٣٦ مايكروفيلم
٨ ـ 8-1851 الاوضاع في الخليج العربي لشهر آذار ١٨٥١/٧٣٦ مايكروفيلم
٩ ـ 10-1851 الاوضاع في الخليج العربي لشهر حزيران ١٨٥١/٧٣٦ مايكروفيلم
١٠ ـ 17-1851 الاوضاع في الخليج العربي لشهر تموز ١٨٥١/٧٣٦ مايكروفيلم
١١ ـ 31-32-1851 الاوضاع في الخليج العربي لشهر آب ١٨٥٣/٧٣٦ مايكروفيلم

١٢ ـ 1851-85-68-64-63الاوضـاع في الخليج العـربي لشهـر أب ١٨٥١/٧٣٦ مايكروفيلم.

١٣ ـ 853-100-104الاوضاع في الخليج العربي لشهر أب ١٨٥٣/٧٣٦ مايكروفيلم.

١٤ ـ 1870-156شئون البحرين وموقف الحكومة البريطانية من مطالبة الدولة العثمانية بتبعية البحرين/٧٣٤ مايكروفيلم

١٥ ـ 871-302-298 تقرير من قبل أدوأردروس Edward Ross «١٨٧١ ـ ١٨٧٢» الوكيل البريطاني في مسقط حول الاوضاع في البحرين مع خارطة للبحرين قام باعدادها تومسن Tomson احد الخبراء البريطانيين في شئون الخليج العربي / ٧٣٤ مايكروفيلم .

١٦ ـ 1875-39-134العلاقات البحرينية ـ القطرية عام ١٨٧٥/٧٣٤ مايكروفيلم.

١٧ ـ 1873-67-59 معلومات توضح موقف البحرين من الصراع الخارجي عام ١٨٧٥/٧٣٤

١٨ ـ 888 - 480 - 447 الادعـاءات الأجنبية عام ١٨٨٨م/ ٧٣٥ مايكروفيلم

١٩ ـ 1909-105معلومات مهمة حول البحرين لعام ١٩٠٩/٧٣٥ مايكروفيلم.

المقيمية السياسية في بوشهر.

١ ـ 130-1الاحداث في البحرين للفترة الواقعة بين ١٥ كانون الثاني ١٨٥٢ الى ٧ أيلول ١٨٥٣/٧٠٤ مايكروفيلم.

٢ ـ 143-1الاحداث السياسية في البحرين للفترة من ٩ كانون الثاني ١٨٥٤ الى أذار ١٨٥٥/٦٨٠ مايكروفيلم.

٣ ـ 149-1اتجارة الرقيق لعام ١٨٥٥/١٨٥٦ في هذا الفلم معلومات اقتصادية تخص البحرين للفترة الواقعة بين ١٣ كانون الثاني ١٨٥٥ الى تشرين الثاني ١٨٥٦/٦٧٨.

٦ ـ 82166 العلاقات البحرينية ـ السعودية خلال تشرين الثاني ١٩٤٩ واذار ونيسان وتموز وآب ١٩٥٠ .

٧ ـ 82004 الاحداث السياسية في الخليج العربي (في البحرين) لشهر كانون الاول ١٩٤٩ وكانون الثاني ١٩٥٠.

٨ ـ 82166 حول فتح قنصليات عراقية في البحرين والكويت، مراسلات بين المقيمية البريطانية في الخليج العربي والسفارة البريطانية في العراق من جهة ووزارة الخارجية من جهة اخرى للفترة بين آذار وتشرين الثاني ١٩٥٠.

الهوامش

١ - ج.ج. لوريمر. دليل الخليج العربي ج ٣، القسم التاريخي ترجمة مكتب سمو امير دولة قطر. (الدوحة بدون تاريخ)، ص ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠.
٢ - المصدر السابق ص ١٢٧٠.
٣ - المصدر السابق ص ١٢٧٠.
٤ - العصفور، عباس احمد، صراع الخليج العربي ضد المطامع الاجنبية في العصر الحديث، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، (بغداد، ١٩٧٣)م ص ١٤٤ ـ ١٤٥.
٥ - الرميحي، د. محمد. قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين ١٩٥٠ ـ ١٩٧٠م (الكويت، ١٩٧٦م) ص ٢٦.
٦ - الوهبي، عبدالله محمد فهد، النفوذ البريطاني في البحرين ١٨٦٩ ـ ١٩٢٣، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث مقدمة الى كلية الاداب جامعة الملك سعود، ١٩٨٤ ص ٢٧.
٧ - لوريمر، المصدر السابق ص ١٢٨٤، انظر كذلك: الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة. صفحات من تاريخ البحرين، مجلة الوثيقة العدد (١٠) السنة الخامسة ١٩٨٧ ص ٣٣ ـ ٣٤.
٨ - صبحي احمد محمود. (بغداد ١٩٦٢)، ص ١٠٥.
٩ - لوريمر، المصدر السابق ج٥ ص ١٨٠٤.
١٠ - المصدر السابق ص ١٢٨٧.
١١ - احتلت منطقة الخليج العربي مكانة متقدمة في تفكير محمد علي باشا وسعيه المتواصل لربط هذه المنطقة بمصر، وانقاذها من الخطر الاستعماري البريطاني، وكانت البحرين من المراكز المهمة في تفكيره، راجع احمد، د. ابراهيم خليل موقع البحرين في محاولات محمد علي باشا تأسيس دولة عربية موحدة مجلة الوثيقة، العدد الرابع السنة

الثانية، (البحرين ١٩٨٤م) ص ١٤٦. وكذلك د. تمام همام تمام. التطور التاريخي لسياسة محمد علي تجاه الخليج العربي، مجلة الوثيقة العدد (١٠) السنة الخامسة، ١٩٨٧، ص ٤٠ فما بعد.

١٢ ـ لوريمر. المصدر السابق ص ١٣٠٥.

١٣ ـ المصدر نفسه ص ١٣٠٧.

١٤ ـ الوهبي المصدر السابق ص ٤٦.

١٥ ـ لوريمر. المصدر السابق ص ١٣٠٨.

١٦ ـ المصدر نفسه ج ٣ص ١٣٣١ ـ ١٣٣٢

١٧ ـ المصدر نفسه ص ١٣٣٢

١٨ ـ المصدر نفسه.

١٩ ـ قاسم، د. جمال زكريا. دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤م، (الكويت، ١٩٧٤م) ص ١٥٦.

٢٠ ـ الوهبي. المصدر السابق ص ١١٦ ـ ١١٧.

٢١ ـ الرميحي المصدر السابق ٢٣.

٢٢ ـ الزياني، د. امل ابراهيم. البحرين ١٧٨٣ ـ ١٩٧٣م، (بيروت، ١٩٧٣م). ص ٧٣.

٢٣ ـ الدكتور عبدالامير محمد امين والدكتور مصطفى عبدالقادر النجار. دور السجلات الهندية ومحفوظاتها من وثائق العراق وبقية اقطار الخليج العربي والجزيرة العربية، (بغداد ١٩٧٨) ص ٣٣ ـ ٤٠.

٢٤ ـ لوريمر ـ المصدر السابق ج ١ص ٤٢٣ ـ ٤٢٥، للاستزادة راجع: بنيلوب تو سون، الارشيف والتوثيق في الخليج العربي، أبحاث الحلقة الرابعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، (أبوظبي، ١٩٧٩م) ص ٣٩٦ ـ ٣٩٨.

٢٥ ـ للاستزادة راجع :

Penelope Tuson, The Records of British Residency and Agencies of the Arabian Gulf (London, 1979), PP: 1-40.

٢٦ ـ لوريمر. المصدر السابق ص ٣٩٣٢.

٢٧ ـ قاسم، د. جمال زكريا. مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة في دور السجلات البريطانية، (الكويت ١٩٧٣م) ص ٢٠، انظر عن وزارة الخارجية البريطانية: قزانجي، فؤاد، العراق في الوثائق البريطانية، مجلة الوثائق، العدد (٥)، ١٩٧٩هـ ٨ ـ ٩.

ابن المقرب

بقلم: الدكتور احمد موسى الخطيب



نقدم على هذه الصفحات الحلقة الأخيرة من الدراسة الخاصة بالشاعر البحريني الكبير علي بن المقرب العيوني . . وقد بدأ الباحث الدكتور أحمد موسى الخطيب في الحلقة السابقة حديثه عن قيم التجديد عند الشاعر العظيم كما تناول المقطوعات والقصائد ثم وحدة القصيدة . . وهو يستكمل في هذا الجزء ما بدأه من حديث . . ولا أعتقد أننا بعد هذه الرحلة مع الشاعر الكبير في حاجة إلى التأكيد على أن القيمة الكبيرة لشعر ابن المقرب إضافة إلى قيمتها الأدبية هي أنها تؤرخ لفترة من أهم الفترات في تاريخ البحرين . . وهي دولة العيونيين

[الوثيقة]

العيون ٧



شاءت الأقدار أن يغترب شاعرنا ، وأن يختار الغربة بديلاً عن ذل الإقامة في وطنه وبين أهله ، ولكنه سرعان ما وجد نفسه في غربته مشدوداً إلى الوطن والأهل ، يرجو الركبان ـ وقد يممت صوب البحرين ـ أن تحمل أشواقه وتحاياه إلى أحبائه هناك ، ويكون المخاطب - غالباً - مسافراً مضى مسرعاً يعتسف الصحراء وقد امتطى ناقة قوية سريعة ، وكأنما الشاعر يطمئن بذلك على سرعة وصول رسالته ، وهي دائماً رسالة شفوية تفيض بمشاعر الاغتراب الحزينة كما تفيض بصراع نفسه بين شوقه إلى الأهل ، وضيقه بما ناله منهم وكان سببا في نأيه عنهم . ويلاحظ أن هذا الأسلوب قد اختصت به بعض قصائده العراقية كقوله :

فيا راكباً تطوي به البيد جسرة
وتغال عيطان الفلا والأخاشبا
إذا أنت ألقيت العصى مختماً
بالاحسا وجاورت الملوك الأطايبا
فيمم لجرعاء الشمال فإن لي
بها خلة اشتاقها وملاعبا
وقف وقفة بالدرب غربي بابها
فثم تلاقي أسرتي والأقاربا[1]

ثم يقول من القصيدة ذاتها :

فقل لهم بعد السلام مقالة
تعم بها عني شبابا وشائبا
ألا يا لقومي والفتى حين يرتمي
به الدهر يدعو قومه لا الأجانبا
كفى حزناً أني ببغداد مفرد
عن الأهل ألقى كل يوم عجائبا
ويشتاقكم قلبي فأذكر دونكم
مهامه لأشتاقها وسباسبا
فيسهل عندي خوضها فيعز لي
تذكر حالات أشبن الذوائبا

وشبيه بهذا الأسلوب الذي سلكه الشاعر لتوصيل أحاسيسه ، وعبر من خلاله عن مبلغ شوقه للأهل والوطن قوله :

فيا راكباً وجناء تستغرق البرى
ويطوي الفيافي خطوها وانجذابها
أقم صدرها قصداً إلى الخط واحتقب
رسالة ود أنت عندي كتابها
فحين ترى الحصن المعلا مقابلاً
ويبدو من الدرب الشمالي بابها
فلج بسلام آمناً تلق بلدة
مقدسة الأكناف رحبا جنابها[2]

ونجده يحمل النسيم ـ على غير عادته ـ رسالة شوق إلى أحبائه في العراق فيقول من قصيدة يمدح فيها أمير البصرة باتكين :

أنسيم نجد بالمهتك سحرة
لشفاء ذي الكبد العليل عليلا
أحمل إلى أرض العراق رسالة
عني فما ارضى سواك رسولا
والبصرة الفيحاء لا تتخلفن
عنها ولا تتجاوزنها ميلا[٣]

ولا نستبعد أن تكون هذه القصيدة مما دبجه الشاعر في مدح الأمير شمس الدين وهو بعيد عنه .

وقد يلجأ إلى التكرار لتلوين أسلوبه وهو أن يكرر الشاعر لفظاً أو معنى وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني[٤]. ويبدو أن ابن المقرب كان يلجأ عادة إلى هذا الأسلوب لتعظيم ممدوحيه ، وإثراء موسيقاه . وهذا ما يفسر لنا استقلال قصائد المديح - تقريباً - به . فأسلوب المدح (بنعم) - مثلاً - لا يأتي إلا مكررا في مدائحه كقوله في مدح الأمير العيوني الفضل علي بن مسعود بن أبي القاسم:

لعمري لنعم المرء أنت إذا التقت
صدر المذاكي والخفاف النوابل
ونعم المرجّى في السنين إذا استوت
من الضر أبناء السرى والأرامل
ونعم المراعي للنزيل إذا غدا
أكيلاً وأفنى ماله من ينازل
ونعم الصريخ المستجاش إذا ارتوت
لدى الروع من هام الكماة المناصل
ونعم لسان القوم إما تأخرت
عن القول سادات الرجال المقاول
ونعم مناخ الركب أهدى له السرى
سنا النار في الظلماء والعام ما حل[٥]

ويتكرر أسلوب المدح بنعم على هذا النحو في موضعين من شعره[٦]. ومن التكرار اللفظي الذي يوظفه لخدمة مديحه وموسيقاه قوله في مدح بدر الدين لؤلؤ :

هذا هو الملك بدر الدين خير فتىً
به تعلق للراجي الغنى أمل
هذا الذي لو يبارى فيض راحته
فيض البحار لما أضحى لها بلل
هذا الذي لو لليث الغاب نجدته
ما حل إلا بحيث الشيح والنفل
هذا الذي بالندى والبأس يعرفه
وبالتقى كل من يحفى وينتعل[٧]

ولا يخفى دور التكرار اللفظي - في هذه الأبيات - في إعلاء النبرة الخطابية إلى جانب ما يتطلبه افتتاح كل منها باسم الإشارة من استدراج لتعريف (هذا) المبهم بما يدعو للمبالغة والغلو. ويندر عند شاعرنا تكرار المعنى دون اللفظ كقوله :

قصائده، لأنه كان يراعي فيما ينظم مفاهيم عصره النقدية ، وتقاليده الفنية الموروثة . وحسبنا مرثيته لإبن عمه مذكور والتي بلغت ثلاثة وخمسين بيتاً، واستهلها بقوله :

أظنك خلت الشوق والنأي أبكاني
فأقبلت نحوي يابس الدمع تلحاني(١٧)

فلم يخرج فيها عن موضوع الرثاء ، وتلونت ألفاظ الشاعر وعباراته وصوره بإحساسه الحزين ، فتعانقت فيها ألفاظ الدموع والبكاء والنواح والحزن والموت، وحتى قافية القصيدة (النون) التي التزم قبلها حرفاً من حروف المد ، كانت بمثابة توقيع حزين يتوالى مع نهاية كل بيت ، كما كان لهذه القافية ذات الإيقاع الحزين أثرها في انتشار حرف النون بكثرة في ألفاظ القصيدة ، فكأنها نبع حزين يفيض على ما حوله ، ويشيع فيه جو الحسرة والألم .

ومثل هذه المرثية ـ في وحدة الموضوع والجو النفسي ـ قصيدتاه في هجاء ابن الدبيثي ، استهل إحداهما بقوله :

بع واسطاً بالنأي والهجر
ودع المرور بها إلى الحشر(١٨)

وقد بلغت هذه القصيدة ثمانية وأربعين بيتاً ، صب فيها جام غضبه على مهجوه ، ولم يتخللها سوى سبعة أبيات في الفخر بالنفس ، وهي في موضعها تمثل هجاءً بالمقابلة .

أما قصيدته الثانية في هجاء ابن الدبيثي والتي استهلها بقوله :

قالوا الدبيثي ذو قوافٍ
محكمة النظم مستقيمة(١٩)

فتبلغ أبياتها واحداً وأربعين بيتاً ، وجاءت امتدادا لغضبته السابقة ، ولم يخرج فيها إلى أي موضوع آخر ، وحقق لها بذلك وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي .

ويقودنا الحديث عن الوحدة العضوية ـ بالضرورة ـ إلى الحديث عن شكل بنائي آخر سلكه ابن المقرب في بناء قصائده ، ونقل به تجاربه ، وهو البناء التقليدي ذو الموضوعات المتعددة الذي يمثل أغلبية ساحقة في ديوانه . وهو الشكل الذي سارت عليه القصيدة العربية ، حيث تتجمع عدة موضوعات مختلفة في قصيدة واحدة ، فنجد المديح إلى جانب الفخر إلى جانب الغزل وربما الشكوى .. وتفتقر القصيدة إلى الوحدة الموضوعية ، حتى ليسهل تقسيمها إلى قصائد متعددة بتعدد موضوعاتها .

وقد ظلت هذه الظاهرة الفنية البنائية للقصيدة العربية كما هي ، رغم اختلاف العصور والبيئات ، وحتى بعد مجيء الإسلام وما أحدثه من تغيير في المجتمع العربي كان له أثره في الحياة الفنية ، إلا أن بنية القصيدة لم يمسها تغيير وإن مس بعض تفصيلاتها[٢٠] . وذلك لأن المجتمع العربي ، "**حين نظر في الشعر لم ينظر إليه أي نظرة تطورية، ولكنه كان ينظر في الأغلب الأعم نظرة فنية صرفا ، وكانت نظرته مرتبطة بالاعتبارات ، والتقاليد الفنية الشكلية فهذه الاعتبارات والتقاليد هي التي أثرت في الأدب العربي وكان الخروج عليها بمثابة الخروج على أوضاع المجتمع ذاته**"[٢١] .

كما أصبح المجتمع العربي من حيث علاقته باللغة العربية ينقسم إلى طبقة العامة ، وطبقة الخاصة . وتحاول هذه الطبقة الأخيرة التمسك بالعربية الفصحى .. من حيث هي مميزهم عن غيرهم من العامة ، وكان المفروض أن الشعراء يمثلون في المجتمع هذه الطبقة المثقفة المتازة ، فلم يكن لهم مناص لذلك من أن يخضعوا للتقاليد الفنية التي سُبقوا إليها في نظام القصيدة وإطارها العام[٢٢] .

فابن المقرب - كأي شاعرٍ قديم - كان يؤلف قصيدته - غالباً - وفقاً لنسق معلوم يدركه بالبديهة ، ولم يكن يملك إلا أن يخضع للتقاليد الفنية الشكلية بحكم انتمائه إلى الطبقة الأرستقراطية المثقفة .

وأول أنماط بناء القصيدة عند ابن المقرب ، هو البناء التقليدي ذو الموضوعات والعواطف المتعددة ، المفتقر إلى الفكرة العامة أو المحور الواحد والذي تحشر فيه الأفكار حشراً ، وترص فيه المعاني رصاً . وهو النظام البنائي الشائع عنده .

ولنأخذ - على سبيل المثال - قصيدته في مدح الأمير العيوني الفضل بن محمد بن أبي الحسين ، والتي بلغت أبياتها سبعة وثمانين بيتاً ، فقد استهلها بلوم نفسه لجريها وراء سراب خادع ، وقبولها العيش في مجتمع انقلبت فيه أوضاعه ، واضطربت أشد الاضطراب فيقول :

سُقها ولو ذهب السرى بسراتها
كم ذا تـرد النفس عن عزماتها
طال امتراؤك خلف كل رذية
أكدى لدى الإبساس من ثفناتها
سفهاً لرأيك إن سررت بروضة
لمزنم العدان غض نباتها

أوليس جهلاً أن تسيم بمرتع
أكلت به المعزى لحوم رعاتها[٢٣]

ثم يتوجه بالعتاب لقومه على مواقفهم السلبية منه، وإنكارهم له ولجهوده الجادة في الدفاع عنهم، وتبصيرهم بما يدبر سراً وجهراً للإيقاع بهم، فيقول:

إن يرض قومي الهون فيّ فطالما
عمداً أهنت النفس في مرضاتها
كم قد غدوت ورحت غير مقصر
في لمّ فرقتها وجمع شتاتها
ولكم عصيت بها العذول ولم أذع
ما بان للأعداء من عوراتها
حاميت عن أعتابها ورميت عن
أحسابها وسهرت في نوباتها
بهرا لها أومادرت أن الذي
يدعى مسرتها وغيظ عداتها
كم زبية حفرت لها يد كاشح
يبغي لها الأسواء في غفلاتها
مازلت أهدم جالها حتى غدت
أبحاثها تنهار في مهواتها

ونلاحظ أن النبرة الفاخرة القوية التي بدأ بها قصيدته، قد استحالت إلى نبرة أقرب إلى الشكوى في هذه الأبيات. ثم يعرّض بأعداء قومه قائلاً:

مهلاً بني اللؤماء ثم تبينوا
سباقها السامي إلى غاياتها

وينتقل بعد ذلك إلى الفخر بقومه المتحدرين من "ربيعة":

قومي سراة ربيعة وملوكها
وإذا نسبت وجدت من سرواتها
الطاعنين الخيل في لباتها
والضاربين الصيد في هاماتها

ولكن هذه النبرة العالية سرعان ما ينحدر خطها البياني، فيقول:

هون فقومك يا علي حياتها
كمماتها ومماتها كحياتها
لو كان فيها من همام ماجد
لم تسق مر الضيم من راحاتها
سلبتك ما خولته من نعمة
ورماك من ناواك من مرماتها

وكأن الشاعر ــ بجو الحسرة الذي أشاعه في هذه الأبيات ــ قد مهد لموضوعه التالي وهو "رثاء" والد الممدوح الأمير محمد بن أبي الحسين، حتى لا يكون التحول إلى الرثاء نقلة مفاجئة في الإحساس، إلى جانب النقلة المفاجئة في المعنى، فيقول:

مذ وارت الغبراء شخص محمد
رحل العلا والمجد من أبياتها
أو ما تراها كيف نام عدوها
أمناً وما قد نال من خيراتها

وترى أقاربهـا وأهـل ودادهـا
غرض البلى في صبحهـا وبياتها

ولكن وقفتـه لم تطـل عنـد الفقيـد ، ليعلن عن عزمه على الرحيل :

فلأرحلن عنها رحيل مفـارق
ولأزجـرن النفس عن لفتاتهـا

وقبل المضي بعيداً في آفـاق الأرض ، لابد من قضاء حق القرابة:

لكن لي " بالخـط " وقفة ساعة
بمحـل سـادتها ودار حمـاتها
لقضاء عذر من مـلـوك لحمـهـا
لحمي وأخشى اللوم إن لـم آتها

ثم يلتفت إلى ابن عمه الأمير الفضل مادحاً راجياً :

ورجاي في فضل النـدى بن محمد
إدراك ما في النفس من حاجاتهـا
السابق القوم الكـرام إلـى العــلا
سـبق المبـرز في مـدى حلبـاتهـا

ويفيض في خلع صفات المدح ـ بشيء من المبالغة ـ عليه ، ويقوده الحديث عن أبوة ممدوحه إلى العودة ثانية لموقف الرثاء :

يا سوء حظ بنـي نـزار بعده
وشقاء حاضرها وشؤم بداتهـا
من للمكـارم والصوارم والقنـا
والمرمـلات ومن لفـك عنـاتهـا

رجفت لمهلكه البلاد وزلـزلت
وغدا منـاخ الذل في حجراتهـا

ويطول وقوفه هذه المرة ، وكأنـه قد تدارك قصر الوقفـة السابقة ، ويخلص من الرثاء إلى المدح ، ويطول حديثه عـن مناقب الممدوح وبطولاته في تبديد جمـوع بـني عقيـل ومـن والاهـا مـن أهـل "السيب" :

يـا فضل يـا من لا تزال جيــاده
وطء الأنــوف الشم من عاداتهـا
أنت الذي مازال سيفك في الوغـى
يردي العدا ويكف من جهلاتهـا

ثم يقول :

وحميـت دار أبيـك منك بهمــة
الجـود والإقـدام من هـامـاتهـا
من بعد مـا جمعت "عقيل" كيدهـا
بـالرأي من عقـالها وغــواتهـا
ودعت بأهـل "السيب" فابتدأت بها
مـن شط دجلتهــا وشط فراتهـا

ويصف تلك الوقعة وما أسفرت عنـه فيقول :

تركت نساء السيب تبكي حسرة
لولاتها وتطيـــل من ويلاتهـا

ثم يخاطب ابـن عمـه شاكياً راجياً فيقول :

إيها عمـاد الدين يقظة مـــاجد
فذوو مكارمـــها وذو يقظاتها

أو ما ترى الرحم المضيمة تشتكي
قد ضاقت الأحشاء عن زفراتــها

رجاؤه وشكواه ثلاثة عشر بيتا ، ويختمها بما يشبه التهديد بإعلان القطيعة، والتحول عنهم إلى غيرهم ، فيقول :

فأما وأعلام المحصب من منىً
ومواقف الركبان في عرفاتها
لولا أواصرنا وبعد حميتي
لتعرفتني حمير بسراتها

وينهي قصيدته بحكمتين جاءتا ختاماً لقصيدته ، وفيهما قدر كبير من الفخر بالنفس :

وأقول إن الأسد إن هي أحرجت
خرجت إلى الأصحار من غاباتها
والغبن يوطي الحر كل عظيمة
ويفتش الحلماء عن أحناتها

لقد حشد الشاعر في قصيدته عددا من الأغراض المختلفة ، حتى ليكاد يصعب تحديد غرضها الرئيسي ، فقد تجاور اللوم ، والعتاب ، والشكوى ، والتنديد بالأعداء ، والفخر بالقبيلة والتحسر على واقع قومه ، كما تعاور المدح والرثاء شطرا كبيرا منها وختمها بالرجاء والفخر بالنفس .

وعندما نقرأ هذه القصيدة وأمثالها يحضرنا تشبيه الدكتور شوقي ضيف[٢٤] لها (بمتحف) لموضوعات مختلفة لا تربط بينها أي رابطة قريبة ، أما أبو القاسم الشابي فيشبه أمثال هذه القصيدة " **بحدائق الحيوان فيها من كل لون وصنف ، أو كالأرض المقدسة التي يحشر فيها الناس من كل حدب وصوب ، ومن كل فئة وقبيل . وتكون الأفكار منبثة في صعيد واحد، متماسكة بعضها من الرؤوس والبعض الآخر من الأذناب**"[٢٥] .

وينبغي أن ننبه إلى تفاوت عدد الموضوعات داخل تلك القصائد ذات الشكل البنائي التقليدي، ويستدعي هذا التنبيه ـ بالضرورة ـ التساؤل عن مدى تلاحم أجزاء تلك القصائد ، وهل يعني اختلاف الموضوعات داخلها وتنوعها أن تلك الأطر البنائية قد افتقدت لروح الانسجام ، وغدت الموضوعات فيها أشبه ما تكون بسلاسل المرتفعات ؟

والإجابة على هذا التساؤل تتطلب منا الوقوف على المطلع وحسن التخلص والخاتمة التي تمثل ثالوثاً بنائياً هاماً في القصيدة العربية .

فالمطلع "**أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عند الشاعر من أول وهلة**"[٢٦] ، وقد عني القدماء ببراعة الاستهلال وحرصوا على أن يوفروا له

أسباب الإجادة والإتقان ، وعده بعضهم "من أصعب ما في القصيدة"[٢٧] ، كما نبهوا على أهميته ، فقال أسامة ابن منقذ " أحسنوا الابتداءات فإنها دلائل البيان"[٢٨] وكانوا يريدون من المطلع أن يكون دالاً على موضوع القصيدة، فيرى ابن حجة الحموي "أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها"[٢٩] .

وابن المقرب معني بمطالعه ، وبتوفير أسباب الإجادة والدلالة لها . ولعلها في بعض القصائد قد تجاوزت حد الإرهاص بغرض القصيدة ومصبها إلى ما يشبه رؤوس الأقلام التي تكتب بخط واضح بارز في الصحف الطائرة ، ويكثف فيها أصحابها أو يوجزون ما هم بصدد الحديث عنه ، كقول ابن المقرب :

ألم يأن أن تنسي عسى ولعلما
وتترك ليتاً للمعنّى وربما[٣٠]

فإذا ما علمنا أن موضوعي هذه القصيدة هما الشكوى والفخر أدركنا أن هذا الحشد من أفعال الرجاء والتمني مضافاً إليها أداة التشكيك والتعلل التي صاغها جميعاً بأسلوب الاستفهام والتعجب ، إنما هي تكثيف وإيجاز لموضوع قصيدته .

وقد يفتتح بعض قصائده بعدد من الحكم التي تومئ إلى غرضها وبخاصة في مدائحه كقوله :

صداق المعالي مشرفي وذابل
وسابغة زغف وأجرد صاهل
وطعن إذا الغر المساعير أقبلت
تخب مذاكيها بها وتناقل
وضرب إذا ما الصيد هابت وأحجمت
وفر من الفرسان من لاينازل[٣١]

وربما كان استهلاله لمجرد التهيئة والإعداد النفسي لسامعه ، وذلك حين يفتتح قصائده بالنسيب" **لما فيه من عطف القلوب ، واستدعاء القبول ، بحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل إلى اللهو والنساء ، وأن ذلك استدراج إلى ما بعده**"[٣٢] ، كقوله مستهلا مدحته للنقيب العلوي تاج الدين إسماعيل :

تخفي الصبابة والألحاظ تبديها
وتظهر الزهد بين الناس تمويها
وتستر الحب كيما لا يقال صبا
شيخاً فتعلنه الأنفاس تنويها[٣٣]

وينتقل في البيت السادس إلى الحديث عن الخمرة وسقاتها من الجنسين ثم يتحول إلى ماضي ذكرياته (**بالجرعاء**) ، وبعد سبعة عشر بيتاً

يخلص إلى ممدوحه بعد أن هيأ الأسماع والنفوس لموضوع القصيدة البارز .

وربما خانه التوفيق في افتتاحية إحدى قصائده ، وكانت في مدح شمس الدين باتكين ، ومطلعها :

طما بحر الهموم به فمادا
وعوضه من الغمض السهادا[٣٤]

ويفيض بحر همومه وشكواه فيطغى على مساحة كبيرة من قصيدته تجاوز العشرين بيتاً . ولا يخفى أن مثل هذا الحديث الطويل عن هموم النفس وآلامها يعد من الأمور المخالفة للعرف الفني لقصيدة المديح العربية ، كما يعد دليلاً على انشغال الشاعر بذاته عن سواها .

وكثيراً ما يستغني ابن المقرب عن التمهيد لموضوعه بتلك المقدمات المألوفة ، فيعمد إلى موضوعه مباشرة . ويرى ابن رشيق أن مثل هذه المصافحة للموضوع "**إنما هي وثب وبتر ، وقطع ، وكسع ، واقتضاب**"[٣٥] ولا يخفى أنه قد صدر في حكمه متأثراً بالنظرة التقليدية لبناء القصيدة التي أعلن شعراء بنو العباس ثورتهم عليها .

ومن بين تلك القصائد التي اقتطع منها الاستهلال والتمهيد قوله في الأمير شمس الدين باتكين :

يابا شجاع رعاك الله من ملك
لولاك ما كان هذا الناس بالناس[٣٦]

وقوله في مدح الأمير ذاته :

يا شمس دين ا لله كم لك من يد
يثني بها باد ويشهد حاضر[٣٧]

وحسن التخلص "**هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر**"[٣٨] ويستلفت انتباهنا من هذا التعريب تخصيص ابن حجة الحموي شاعراً بعينه ، وكأنه يشير بذلك إلى صعوبة وأهمية هذا المحور البنائي ، وقد نبه ابن منقذ إلى تلك الصعوبة إذ يرى "**أن المبدأ والمقطع والخروج ، أصعب ما في القصيدة**"[٣٩] ، ويلقي ابن رشيق مزيداً من الضوء على هذه القضية فيقول "**إنما الخروج هو أن تخرج من نسيب إلى مدح إلى غيره بلطف تحيل ، ثم تتمادى فيما خرجت إليه**"[٤٠] وهكذا أدرك القدماء ضرورة تلاحم أجزاء القصيدة ، وأهمية انسجام الموضوعات في داخلها ، فنبهوا على أن يكون الأول سبباً في تاليه ، وألا نخس بنقلة مفاجئة حين ننتقل من موضوع إلى آخر . وكأنهم كانوا يدركون أن هناك صلة ما بين موضوعات القصيدة ، وأن هذه الصلة تستدعي ـ بالضرورة ـ قدراً من الانسجام بينها ، ولعلهم كانوا يومئون

إلى هيمنة موضوع القصيدة الأساسي ، الذي سماه بعضهم "محط الرياسة ومصب القصيدة"[٤١] على سائر الموضوعات الثانوية فيها .

وإذا كان ابن المقرب قد أجاد هذا الفن[٤٢] ، فربما كان ذلك بفضل تلمذته على ديوان أبي الطيب بخاصة الذي يعد أكثر الناس استعمالاً لهذا الفن ، فإنه ما يكاد يفلت له ولا يشذ عنه[٤٣] فلم يحدث أن لجأ شاعرنا إلى تلك التخلصات التي شاعت عند القدماء ، كقولهم دع ذا ، وعدّ عن ، وإن .. ونحو ذلك مما سمي طفراً واقتضابا[٤٤] .

فمن المواضيع التي أجاد فيها ابن المقرب التخلص قوله بعد حديثه عن أيام لهوه وصباه :

إذ ليس البيض تؤنبني
بمشيب لاح ولا عدم
ساوت في الحسن زمان الملـ
ـك عماد الدين حيا الأمم[٤٥]

وشبيه بهذا التخلص الحسن قوله :

لم أنسها مذ نأت عني ببهجتها
وأين غر من الأيام تنسيها
فاقت جميع الليالي في البهاء كما
فاق البرية تاج الدين تشبيها[٤٦]

وقد يخلص إلى ممدوحه في خفة ورشاقة من وصف جلسة شراب في ظلال حدائق نهر دجيل فيقول :

دُجَيْلِيَّةٌ لو حط غيلان رحله
بها ساعة أنسته حزوى ومشرفا
كنسياني الأوطان في ظل سيد
جلى الغم عن سوداء قلبي وكشفا[٤٧]

أما الانتهاء "**فهو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكما ، لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه**"[٤٨] وقد نبه القدماء على أهمية هذا الجزء في بناء القصيدة ، وربما عدُّوه أخطر أجزائها "**فإن كان مختاراً جبر ما قد يسبقه من تقصير ، وإن كان بخلاف ذلك فربما أنسي محاسن ما قبله**"[٤٩] لأن خاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس .. وآخر ما يعيه السمع .. فإن حسنت حسن ، وإن قبحت قبح[٥٠] . وأحسن الانتهاءات ما آذنت بانتهاء الكلام[٥١] كقول ابن المقرب في ختام مدحته لبدر الدين لؤلؤ :

فبوركت من ملك أقل هباته
تبر على فيض البحار الخضارم

وعشت على مر الليـــالي مـخلداً
لنصرة مظلوم وإرغـام ظـالم(٥٢)

والدعـاء للممـدوح ممـا يسـتحب في ختـام القصيـدة إذا كـان مـن الملـوك ، وبمثل هذا أنهى مدحته في الأمير الفضل بـن محمـد ابـن أبـي الحسـين العيونـي فقال :

وهذه دولــة لـولا الرجــاء لهــا
لـــا انجلت كربـة عنـا ولا غـمم
عشنــا بآمـــالها دهـــراً وبلغنــا
إدراكهــا واحد فـرد له القـــدم
فالحمـد والشكـر منا واجبـان له
لا ينفدان جميعاً ما جرى القلـم(٥٣)

وكذا ختم مدحته في الخليفة النـاصر لدين ا لله :

ومن كنت يا بـن المستضـــيء مـآله
رجـــاه وحاشـــاه محـــب وكـاشح
فعش وابـق للإســلام ما ذر شـارق
وما سجعت بالبـان ورق صوانح(٥٤)

وكان هذا ديدنه في معظم مدائحه ، وقد نجده يختم بعض مدائحه بالفخر بشعره كقوله :

وإليكهـــا يـــا باعلـي مدحـــــة
من فضلها أنـــــي عليها أحســـــد
جاءت نسيجة وحدها في عصرها
إذ أنت في هذي البرية أوحد(٥٥)

وربط ختمها بالدعاء والفخـر بشـعره معاً كقوله :

فكلاك ربـــك حيث كنت بحفظـه
وبقيت ما بقـــي الزمـان مخلـداً
وأراك في ابنك ما تحب وعاش من
يشناكما ما عـاش أكمـــد أكبـدا
وإليك من در الكـــلام جواهــراً
يعيي الفرزدق نظمها ومزردا(٥٦)

د.أحمد موسى الخطيب

الهوامش

١ ـ الديوان ، ص٣٨ وما بعدها .

٢ ـ نفس المصدر ، ص٤٢ .

٣ ـ نفس المصدر ، ص٤٠٧ .

٤ ـ العمدة ٧٣/٢ .

٥ ـ الديوان ، ص٣٤٤ .

٦ ـ نفس المصدر ، ص٣٦١ ـ ٣٦٢ ، ٤٠٠ .

٧ ـ نفس المصدر ، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، والنفل : نبت من البقوليات نوره أصفر طيب الرائحة.

٨ ـ نفس المصدر ، ص٣٧٢ ، والضال : شجر من فصيلة النبقيات .

٩ ـ د. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص٣٩٥ .

١٠ ـ د. شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، ص١٥٤ .

١١ ـ ابن طبا طبا ، عيار الشعر ، ص١٢٦ ـ ١٢٧ .

١٢ ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تحقيق د. أحمد أمين ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ ، ص١١ .

١٣ ـ العمدة ، ٢٥٧/١ .

١٤ ـ انظر : النقد الأدبي الحديث ، ص٢١١ .

١٥ ـ نفس المصدر ، ص٢١٢ .

١٦ ـ العمدة ، ٢٦١/١ .

١٧ ـ الديوان ، ص٥٩٤ .

١٨ ـ نفس المصدر ، ص٢٤٤ .
١٩ ـ نفس المصدر ، ص٥٠٥ .
٢٠ ـ انظر : عزالدين اسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ١٩٧٤م ، ص٤١٩ .
٢١ ـ نفس المصدر ، ص٣٠٩ .
٢٢ ـ نفس المصدر ، ص٣١٩ .
٢٣ ـ الديوان ، ص١٠٥ .
٢٤ ـ انظر : في النقد الأدبي ، ص١٥٤ .
٢٥ ـ ابوالقاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص١١٤ .
٢٦ ـ العمدة لابن رشيق ، ٢١٨/١ .
٢٧ ـ البديع في نقد الشعر ، ص٢٩٥ .
٢٨ ـ نفس المصدر ، ص٢٨٥ .
٢٩ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب ، ص٣ .
٣٠ ـ الديوان ، ٤٦٦ .
٣١ ـ نفس المصدر ، ص٣٥٠ .
٣٢ ـ العمدة ، ٢٢٥/١ .
٣٣ ـ الديوان ، ص٦٤٩ .
٣٤ ـ نفس المصدر ، ص١٨٢ .
٣٥ ـ العمدة ، ٢٣١/١ .
٣٦ ـ الديوان ، ص٢٤٧ .
٣٧ ـ نفس المصدر ، ص٢١٢ .
٣٨ ـ خزانة الأدب ونهاية الأرب ، ص١٤٩ .
٣٩ ـ البديع في نقد الشعر ، ص٢٩٥ .
٤٠ ـ العمدة ، ٢٣٤/١ ، وانظر الإيضاح للقزويني ،مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة (بدون تاريخ) ، ص٤٣٢ .
٤١ ـ البديع في نقد الشعر ، ص٢٩٥ .

٤٢ ـ انظر : الديوان ، ص٢٠ـ ٢٨ ـ ١٠١ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ٢٩٦ ـ٤٥١ ـ ٥٦٥ .

٤٣ ـ العمدة ، ٢٣٤/١ .

٤٤ ـ نفس المصدر ، ص٢٣٩ .

٤٥ ـ الديوان ، ص٥٨١ .

٤٦ ـ نفس المصدر ، ص٦٥١ .

٤٧ ـ نفس المصدر ، ص٢٨٤ .

٤٨ ـ العمدة ، ٢٣٩/١ .

٤٩ ـ الإيضاح للقزويني ، ص٤٣٤ .

٥٠ ـ نفس المصدر والموضع ، وانظر : العمدة ، ٢١٧/١ .

٥١ ـ الإيضاح ، ص٤٣٥ .

٥٢ ـ الديوان ، ص٥٢٠ .

٥٣ ـ نفس المصدر ، ص٥٢٥ .

٥٤ ـ نفس المصدر ، ص١٢٩ .

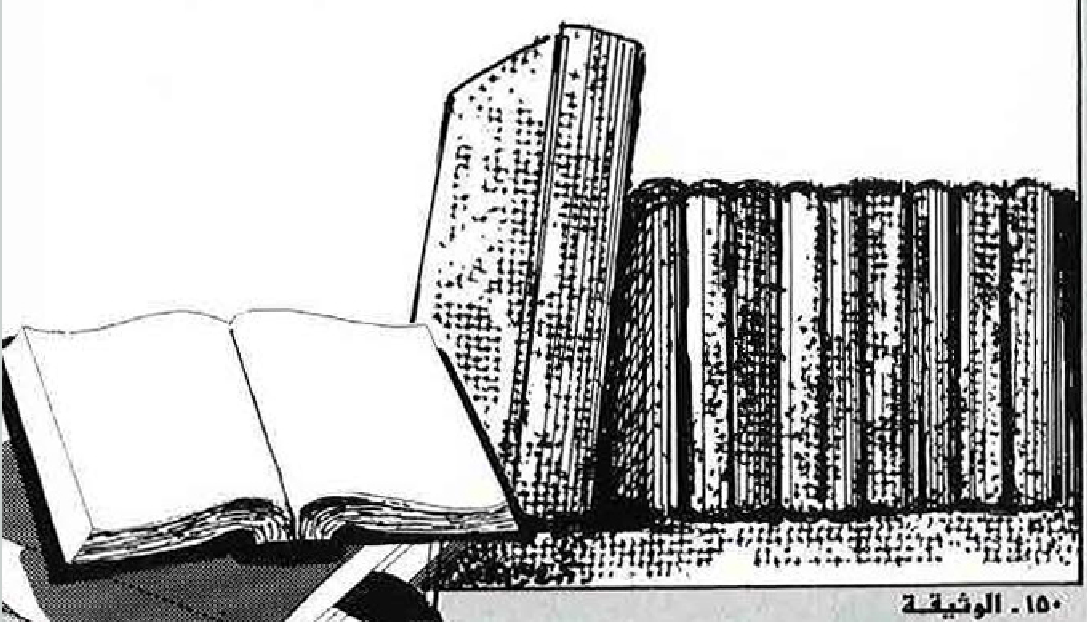
٥٥ ـ نفس المصدر ، ص١٦٧ .

٥٦ ـ نفس المصدر ، ص١٧٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

كشاف

من العدد الأول .. إلى العدد



الوثيقة

لثامن والعشرين "٣"

اعداد: الدكتور على أبا حسين

* نشرنا في العدد الماضي الجزء الأول من هذا الكشاف ونواصل في هذا العدد نشر الجزء الثاني آملين أن يحقق الهدف منه في خدمة الباحثين والدارسين

[الوثيقة]

تابع فهرس المؤلفين

١٥٩ ـــ القسنطيني ، الكراي (الدكتور).

مشروع خطة عثمانية في التصدي للأطماع الإستعمارية في الخليج العربي في أواخر القرن التاسع عشر.

العدد الخامس عشر / السنة الثامنة / يوليو ١٩٨٩م .

من صفحة ١٢ ـ ٥٦ .

١٦٠ ـــ قطينة ، رندة المصري (الدكتورة) .

الكويت دراسة تحليلية لقيام الدولة.

العدد الأول / السنة الأولى / يوليو ١٩٨٢م .

من صفحة ١٧٨ ـ ١٩١ .

١٦١ ـــ قطينة ، رندة المصري (الدكتورة) .

لماذا خاف الإنجليز من الخط الحديدي الألماني إلى الكويت ؟

العدد الثاني / السنة الأولى / يناير ١٩٨٣م .

من صفحة ١٩٤ ـ ٢٠٤ .

١٦٢ ـ القوصي ، عطية (الدكتور) .

البحرين وتجارة الدولة العباسية .

العدد السابع والعشرون / السنة الرابعة عشرة / يناير ١٩٩٥م .

من صفحة ٤٤ ـ ٦٩ .

١٦٣ ـ القيسي ، سامي عبد الحافظ (الدكتور) .

الوثيقة وأهميتها في الدراسات التاريخية . . مع دراسة لمختارات

من المادة الوثائقية من مركز الشرق الأوسط . جامعة أكسفورد .

العدد الرابع عشر/ السنة السابعة / يناير ١٩٨٩م .

من صفحة ٧٨ ـ ١٠٥ .

١٦٤ ـ القيسي ، نوار عبد الوهاب قاسم .

الخليج العربي : الأهمية الاستراتيجية وملامح السياسة البرتغالية .

العدد الرابع عشر/ السنة السابعة / يناير ١٩٨٩م.

من صفحة ١٥٤ ـ ١٦٩ .

١٦٥ ـ كاظم ، بشير احمود .

التهديد البرتغالي لتجارة البحر الأحمر .

العدد السادس عشر/السنة الثامنة / يناير ١٩٩٠م .

من صفحة ٣٩ ـ ٦١ .

١٦٦ ـ كاظم ، بشير احمود .

حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها.

العدد الثاني عشر/السنة السادسة / يناير ١٩٨٨م .

من صفحة ١٢ ـ ٢٣ .

١٦٧ ـ كانو ، عبد اللطيف جاسم (الدكتور) .

البحرين في صدر الإسلام .

العدد السادس / السنة الثالثة / يناير ١٩٨٥م .

من صفحة ١٠ ـ ٣٨ .

١٦٨ ـ كانو ، عبد اللطيف جاسم (الدكتور) .

دراسة عن المسكوكات الإسلامية.

العدد الثاني / السنة الأولى /يناير ١٩٨٣م .

من صفحة ٣٤ ـ ٧٦ .

١٦٩ ـ كانو ، عبد اللطيف جاسم (الدكتور) .

دراسة في كتابة المصحف الشريف.

العدد الثالث / السنة الثانية / يوليو ١٩٨٣م .

من صفحة ١٠٢ ـ ١٤٩ .

١٧٠ ـ كانو ، عبد اللطيف جاسم (الدكتور) .

رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم للأباطرة والملوك والأمراء .

العدد الأول / السنة الأولى / يوليو ١٩٨٢م .

من صفحة ٣٦ - ٧٢ .

١٧١ ـ كانو ، عبد اللطيف جاسم (الدكتور) .

الملك عبد العزيز آل سعود والبحرين .

العدد الثامن / السنة الرابعة / يناير ١٩٨٦م .

من صفحة ٣٢ - ٧٣ .

١٧٢ ـ كرفران ، مونيك (الدكتورة) و أباحسين ، علي (الدكتور) .

حفريات قلعة البحرين تضيف معلومات جديدة عن التراث الحضاري للبلاد .

العدد الثاني / السنة الأولى / يناير ١٩٨٣م .

من صفحة ١٧٤ - ١٩٣ .

١٧٣ ـ كريم ، عبد الكريم (الدكتور) .

المصادر التاريخية المغربية وأحداث الخليج العربي في ظل الحكم العثماني .

العدد الخامس عشر/السنة الثامنة / يوليو ١٩٨٩م .

من صفحة ١٤٢ - ١٤٩ .

١٧٤ ـ كونيتش ، بول (البروفيسور).

وصف البحرين لأحمد بن ماجد .

العدد الرابع / السنة الثانية / يناير ١٩٨٤م .

من صفحة ١٦٢ - ١٦٩ .

١٧٥ ـ كوهلر ، وولف جانج (الدكتور) .

محاولات ألمانيا في التسلل إلى الخليج العربي .

العدد السادس والعشرون / السنة الثالثة عشرة / يوليو ١٩٩٤م .

من صفحة ٧٢ - ٨١ .

١٧٦ ـ الكيالي ، محمد عارف (الدكتور) .

الأسس الإقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

العدد الرابع عشر/ السنة السابعة / يناير ١٩٨٩م .

من صفحة ١٠٦ - ١٢٥ .

١٧٧ - لاندن ، د. روبرت (الدكتور) .

إعادة النظر في كتابة تاريخ البحرين ، الجزء الأول ١٧٨٣ - ١٨٦١م .

العدد الثامن / السنة الرابعة / يناير ١٩٨٦م .

من صفحة ٧٥ - ٨٩ .

١٧٨ - لنشوتن ، جون هيوجن فان .

صفحات من كتاب قديم وصف شاهد عيان يرجع لعام ١٥٩٨م .

العدد الأول / السنة الأولى / يوليو ١٩٨٢م .

من صفحة ١٥١ - ١٥٥ .

١٧٩ - ماكراند مهتا (الدكتور) و شيرين مهتا (الدكتورة) .

تجارة كوجرات والتجار العرب .

العدد الثالث والعشرون / السنة الحادية عشرة / يوليو ١٩٩٣م .

من صفحة ١٨٠ - ١٩٢ .

١٨٠ - محمد أمين ، عبد الأمير (الدكتور) .

نظرة جديدة للإنجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية في آسيا (دراسة في عوامل تدهور وانحطاط الإمبراطورية البرتغالية) .

العدد الثالث عشر/السنة السابعة / يوليو ١٩٨٨م .

من صفحة ١٠٠ - ١٣٢ .

١٨١ - المسري، حسين علي (الدكتور).

الإمارة الشاهينية في البطائح .

العدد الثامن / السنة الرابعة / يناير ١٩٨٦م .

من صفحة ١٠٥ - ١٢٣ .

١٨٢ - المغنم ، علي صالح .

دراهم ساسانية من جزيرة تاروت .

العدد السابع / السنة الرابعة / يوليو ١٩٨٥م .

من صفحة ٧٨ - ١٠٢ .

١٨٣ - مقبل ، فهمي توفيق (الدكتور).

رواد الإصلاح في العصر الحديث (ببليوجرافيا) الحلقة (١) **الأفغاني**.

العدد السادس عشر / السنة الثامنة / يناير ١٩٩٠م .

من صفحة ١٤٨ - ١٧٧ .

١٨٤ ـــ مقبل ، فهمي توفيق (الدكتور).

رواد الإصلاح في العصر الحديث الحلقة (٢) **محمد عبده** .

العدد العشرون / السنة العاشرة / يناير ١٩٩٢م .

من صفحة ١٣٢ ـ ١٦٣ .

١٨٥ ـــ مقبل ، فهمي توفيق (الدكتور).

من رواد الإصلاح في العصر الحديث (ببليوجرافيا) الحلقة (٣) **عبد الرحمن الكواكبي** .

العدد الحادي والعشرون / السنة الحادية عشرة / يوليو ١٩٩٢م .

من صفحة ١٦٦ ـ ١٨٢ .

١٨٦ ـــ مقبل ، فهمي توفيق (الدكتور).

من رواد الإصلاح في العصر الحديث (ببليوجرافيا) الحلقة (٤) **محمد رشيد رضا** .

العدد الثاني والعشرون / السنة الحادية عشرة / يناير ١٩٩٣م .

من صفحة ١٧٦ ـ ١٨٤ .

١٨٧ ـــ المنقادي ، عبد العزيز (البروفيسور) .

تاريخ ظهور الإسلام في ساحل ملبار .

العدد السابع عشر / السنة التاسعة / يوليو١٩٩٠م .

من صفحة ١٦٠ ـ ١٧١ .

١٨٨ ـ النابودة ، حسن (الدكتور) .

عمان الداخل من ١٥٠٧ ـــ ١٦٢٤م . . التركيبة القبلية والسياسية .

العدد الحادي والعشرين / السنة الحادية عشرة / يوليو ١٩٩٢م .

من صفحة ١٢ ـ ٤٠ .

١٨٩ ـ ناجي ، عبد الجبار (الدكتور).

العلاقات التجارية بين البحرين والعراق خلال العصر الوسيط .

العدد السادس / السنة الثالثة / يناير ١٩٨٥م .

من صفحة ١٠٢ ـ ١٢١ .

١٩٠ ـ نارا ين ، ب.ك. (مترجم) و أباحسين ، علي (الدكتور) .

لمحة في بعض الوثائق التاريخية حول العوامل المؤثرة على المصالح

الإقتصادية البريطانية في الخليج العربي حتى عام ١٩٠٧م .
العدد الثالث عشر/ السنة السابعة/ يوليو ١٩٨٨م .
من صفحة ١٢ - ٣١ .

١٩١ ـ نارابن ، ب.ك. (مترجم) و أباحسين ، علي (الدكتور) .
وثائق تاريخية عن صيد اللؤلؤ في البحرين .
العدد العاشر / السنة الخامسة / يناير ١٩٨٧م .
من صفحة ١١٢ - ١٤٣ .

١٩٢ ـ نارابن ، ب.ك. (مترجم) و أباحسين ، علي (الدكتور) .
من تاريخ الخدمات الجوية في البحرين .
العدد الحادي عشر / السنة السادسة / يوليو ١٩٨٧م .
من صفحة ١٢٢ - ١٥٣ .

١٩٣ ـ الناشف ، خالد .
آلهة دلمون .
العدد الرابع / السنة الثانية / يناير ١٩٨٤م .
من صفحة ١٧٠ - ١٩٩ .

١٩٤ ـ النجار ، مصطفى عبد القادر (الدكتور) .
الإدارة العثمانية في الخليج العربي.
العدد الخامس عشر/ السنة الثامنة/ يوليو ١٩٨٩م .
من صفحة ٩٤ - ١٠٧ .

١٩٥ ـ نورس ، علاء موسى كاظم (الدكتور) .
نشأة البريد وتطوره في البحرين في العصر الحديث .
العدد السادس / السنة الثالثة / يناير ١٩٨٥م .
من صفحة ١٩٠ - ١٩٨ .

١٩٦ ـ نيبور .
الشرق بعيون نيبور . . مشاهدات رحالة ألماني عن الشرق منذ أكثر من مائتي عام .
العدد الثالث / السنة الثانية / يوليو ١٩٨٣م .
من صفحة ١٧٤ - ١٩٨ .

١٩٧ ـ نيكيتوف ، ستيفان .
بلاد دلمون الغامضة .
العدد التاسع / السنة الخامسة / يوليو ١٩٨٦م .

من صفحة ١٧٢ ـ ١٨٣ .

١٩٨ ـ الوثيقة .

تعليقات على موضوع (**صفحات من تاريخ الغوص في البحرين**) المنشور في العدد السابع .

العدد الثامن / السنة الرابعة / يناير ١٩٨٦م .

من صفحة ١٩٨ ـ ٢٠٠ .

١٩٩ ـ الوثيقة .

خرائط قديمة للأصطخري ولابن حوقل وللمقدسي ولنيبور .

جولة مع الجغرافيين القدماء في القرن الرابع الهجري .

العدد الأول / السنة الأولى / يوليو ١٩٨٢م .

من صفحة ٧٣ ـ ٧٧ .

٢٠٠ ـ الوثيقة .

صفحات من كتاب قديم لأسفار (**جون هيوجن فان لنشوتن**) .

العدد الأول / السنة الأولى / يوليو ١٩٨٢م .

من صفحة ١٥١ ـ ١٥٥

٢٠١ ـ الوثيقة .

طريق الشام إلى مكة المكرمة منذ قرن ونصف قرن .

العدد العشرون / السنة العاشرة / يناير ١٩٩٢م .

من صفحة ٥١ ـ ٦٩ .

٢٠٢ ـ الوثيقة .

(وثائق قديمة) شهادة حسن سير وسلوك من حاكم البحرين للمستشار البريطاني جيمس بلكريف .

العدد الثاني / السنة الأولى / يناير ١٩٨٣م .

من صفحة ١٥٣ ـ١٥٥ .

٢٠٣ ـ الوثيقة .

(وثائق قديمة) من عهد المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة .

العدد الثاني / السنة الأولى / يناير ١٩٨٣م .

من صفحة ٧٧ ـ ٨١ .

٢٠٤ ـ الوثيقة .

وقائع اجتماعات الدورة العاشرة لمراكز الدراسات والوثائق في الخليج العربي والجزيرة العربية .

واجتماعات الأمانة العامة منذ ١٩٧٦م وحتى تاريخه .

العدد الثاني عشر/ السنة السادسة/ يناير ١٩٨٨م .

من صفحة ١٦٨ - ١٨٠ .

٢٠٥ ـ الوثيقة .

هذا الكتاب وهذا الكاتب .

أفونسو دالبوكرك / فان هيوجن فان لنشوتن / بيدرو تكسيرا . . ترجمة وتعليق وليم سنكلير/ رحلات برودوي وتعليقات روي فرير . كتبه إي دنسون روس والين بارو / ديوارت بربوزا / روي فرير دا أندرادا .

العدد الأول / السنة الأولى / يوليو ١٩٨٢م .

من صفحة ١٠٨ ـ ١١٥ .

٢٠٦ ـ ولد العروسي .

البحرين . . قائمة ببليوجرافية بالفرنسية .

العدد الثامن عشر/ السنة التاسعة / يناير ١٩٩١م .

من صفحة ١٤٠ ـ ١٦٩ .

٢٠٧ ـ ولكنسون ، جيه. سي .

البحرين وعمان .

العدد الحادي عشر / السنة السادسة / يوليو ١٩٨٧م .

من صفحة ٦٦ ـ ٨٥ .

٢٠٨ ـ وليامز ، مينارد أوين .

البحرين . . ميناء اللؤلؤ والبترول / ديسمبر ١٩٤٤م .

العدد الثامن والعشرون / السنة الرابعة عشرة / يوليو ١٩٩٥م .

من ٤٦ ـ ٥٦ .

٢٠٩ ـ الهاشمي ، علوي (الدكتور) .

التفكير الحضاري في البحرين في ضوء إشكالية العلاقة بين المثال والواقع (١) .

العدد الثاني والعشرون / السنة الحادية عشرة / يناير ١٩٩٣م .

من صفحة ١٢ ـ ٤٣ .

٢١٠ ـ الهاشمي ، علوي (الدكتور) .

التفكير الحضاري في البحرين في ضوء إشكالية العلاقة بين المثال والواقع (٢) .

العدد الثالث والعشرون / السنة الحادية عشرة / يوليو ١٩٩٣م .

من صفحة ١٢ ـ ٥١ .

٢١١ ـ هايد ، وليم (ملازم) .

رحلة مشبوهة من الهند إلى إنجلترا . . صورة عن الخليج في أوائل القرن التاسع عشر .

العدد الرابع والعشرون / السنة الثانية عشرة / يناير ١٩٩٤م .

من صفحة ١٠٢ ـ ١٢٦ .

٢١٢ ـ هوشنغس ، ج. ف.

تقرير عن التعليم الفني في البحرين . . مع توصيات لتوسيع نطاقه (مارس ١٩٤٠) .

العدد الثامن والعشرون / السنة الرابعة عشرة / يوليو ١٩٩٥م .

من صفحة ٥٨ ـ ٨٠ .

٢١٣ ـ ياغي ، اسماعيل (الدكتور) .

سياسة مدحت باشا تجاه الخليج العربي .

العدد السابع والعشرون / السنة الرابعة عشرة / يناير ١٩٩٥م .

من صفحة ١٠٨ ـ ١٤١ .

فهرس البحوث

(ج)

(ح)

(ر)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

